قصة أصحاب الكهف
(دراسة موضوعية تحليلية)

✍ إعداد الباحث

عبدالعزيز بن صبحي الجوير

مسار الكتاب والسنة – قسم الشريعة والدراسات الإسلامية –
كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبدالعزيز

Email:abosubhe2@hotmail.com

قصة أصحاب الكهف (دراسة موضوعية تحليلية)

عبدالعزيز بن صبحي الجوير
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبدالعزيز – السعودية .
البريد الاليكتروني : mail:abosubhe2@hotmail.com

الملخص:

دراسات التفسير الموضوعي تقوي محورية القصة القرآنية وتحل جميع عقدها وتبرز مسائلها بشكل مفصل وواضح مع بيان المسائل التي يكثر فيها الخلاف في الموضوع الواحد، وأصحاب الكهف لكثرة ما تُقرأ قصتهم بين ملايين المسلمين بشكل أسبوعي فإن التأمل في أمرهم وحالهم يعطي أفضل الدروس والعبر، واتبع الباحث في هذه الورقات منهج استقرائي تحليلي يدرس تفاصيل قصة الفتية ويلقي الضوء على كل مشهد من مشاهد الحدث حتى يمكن للباحث المسلم ان يستحضر هذه الجوانب من قصتهم عند تكرار قراءته لسورة الكهف متدبراً.

وقد أهتم الباحث بإبراز الروابط بين الآيات وتناسبها فيما بينها وفيما بينها وبين المقاطع السابقة لها والتالية لها ، وتناسبها مع الوحده الموضوعية للسورة، مبينا أسباب النزول والغريب ومتوقفا عند أوجه الإعجاز البلاغي في موضع القصة ، ومتوقفا عند مشاهد القصة القرآنية مقسما لها لفصول روائية آسرة شيقة ، مع التأكيد على أهم الأحداث وأوجه العبر منها ومناقشة مسائل عديدة لها أهمية بالغة وقع الخلاف الشديد فيها كموقع الكهف الذي أصبح يرتبط بأبرز الأنشطة السياحية لدى الحكومات ،والموقف العقدي الذي اتخذه من تعرف عليهم، ومبرزا أهمية السياسة الشرعية لدى الأقليات ، وذاكرا الإعجاز العددي والبلاغي في كل موضع ، مبينا الكم الهائل من الفوائد والنتائج والدروس وخاتما البحث بالنتائج المستفادة من هذه الدراسة الموضوعية لقصة أصحاب الكهف .

الكلمات المفتاحية : الكهف – فتية – مرفقا – كلبهم – ثلاث مائة – يشاء الله – الشمس .

The story of the owners of the cave in the light of Surat Al-Kahf (an objective and analytical study)

Abdulaziz bin Subhi Al-Juwair
Department of Sharia and Islamic Studies - College of Arts and Humanities - King Abdulaziz University - Saudi Arabia.
Email: Email:abosubhe2@hotmail.com

Abstract

Objective interpretation studies strengthens the centrality of the Qur'anic story and solves all its contract and highlights its issues in a detailed and clear manner with a clarification of the issues in which disagreement abounds in one subject, and the owners of the cave often read their story among millions of Muslims on a weekly basis, so meditating on their affairs and their condition gives the best lessons and lessons, and follow the researcher in These papers are an inductive and analytical approach that studies the details of the boy's story and sheds light on every scene of the event so that the Muslim researcher can evoke these aspects of their story when repeating his reading of Surat Al-Kahf in retrospect.

The researcher was interested in highlighting the links between the verses and their compatibility between them and between them and the previous and subsequent sections of it, and their suitability with the objective unit of the surah, indicating the reasons for the descent and the strange and stopping at the

rhetorical miracles in the place of the story, and stopping at the scenes of the Quranic story divided into chapters of a captivating interesting, With an emphasis on the most important events and lessons from them, and discussion of several issues of great importance, the intense disagreement took place in them, such as the location of the cave, which has become associated with the most prominent tourism activities of governments, and the doctrinal position taken by those who know them, highlighting the importance The legal policy of the minorities, and mentioning the numerical and rhetorical miracles in each location, indicating the huge amount of benefits, results, lessons and conclusion of the research with the results learned from this objective study of the story of the owners of the cave.

Keywords: The cave - young - attached - their dog - three hundred - God willing - the sun.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله معز دينه وناصر جنده، منزل كتابه عبرة لأولي الأبصار وموعظة لكل لبيب ، رفعة لمن أخذ به واستفاد من دروس الأمم السالفة ومواقف أهل الإيمان لتكون له مرشدا في طريقه في السير إلى الله .

وما خلق الله الخلق إلا لحكمة واحدة هي عبادته وتقواه، وشرائع الله لا يمكن التعرف عليها إلا من خلال محكم التنزيل في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وقد حفظ الله هذا القرآن الكريم في حروفه وأحكامه ومعانيه فقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة: ١٧ – ١٩]، فكما حفظه الله في حروفه؛ تكفل بجمعه وتوضيح معانيه وتبيينه للناس لئلا يشكل عليهم وحتى لا يكون مُشْرَعا للمحرفين والبطالين .

وقد جعل الله من أهم ما كلف به نبيه ﷺ تبيين هذا القرآن للناس وتوضيح معانيه وتفسيره لكافة البشر حتى لا يبقى منه مشكل لا يعلمونه قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤] .

ثم جاء العلماء ورثة الأنبياء ليحملوا هم الدعوة ونشر الإسلام وليقوموا بما كان يقوم به نبيهم ﷺ فجاء المفسرون من الصحابة فتناولوا ما صعب وشق فهمه وبينوا محكمه وناسخه ومنسوخة وعامة وخاصة ومطلقة ومقيدة وحفظوا ترتيبه وأسماء سورة وجمعوا كل هذا وغيره من علوم الكتاب العزيز في الصدور وقد كان المشتغل منهم بهذا لا يسأم ليله ونهاره من استخراج الفوائد منه واستنباط الأحكام والحكم وتطبيقه واقعا مشهودا.

ثم سارت السنين ليبدأ عهد التابعين بإحسان ومن تبعهم فنرى العلماء يتكاثرون على حلق القرآن وتفسيره وأخذ علومه ويحرصون على ضبط ذلك صدرا أو كتابة فيسألون من يلاقون من الصحابة أو علماء التابعين عن كل آية وكل فائدة في كتاب الله فحفظوا العلوم المتعلقة بالكتاب كالأمثال والغريب والناسخ والمنسوخ والآداب والمطلق

والعام والخاص وأهم ذلك كله التفسير الذي بدأ يظهر مكتوبا في ذلك الفترة فجمع في كتب الحديث على أنه باب من أبواب الآثار المروية.

ثم انتقل العلماء بعد ذلك للتأليف في علوم القرآن ككتب مستقلة وفنون مختلفة عن باقي علوم الآثار ثم لم استقل بدأ التخصص يتوسع وتبدأ الكتابة عن علوم قرآن لم يوضع عليه المجهر وتظهر من قبل فمن علوم القرآن التقليدية كالتفسير والغريب والأمثال والمعاني والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني واللغة والإعراب وأسباب النزول والدلالات اللفظية من مطلق ومقيد وعام وخاص إلى صنوف من البلاغة القرآنية والتأليف في قواعد التفسير والاهتمام بالمناسبات من ثم كان التفسير أيضا يهتم في بداية ظهوره بالتفسير بالمأثور أو باللغة فقط ثم ظهر التفسير بالمعقول والتفسير البلاغي والعلمي والإشاري والتفسير النهضوي.

وجاءت التفاسير في العصور المتأخرة إما شاملة تحليلية فيها كل أنواع التفسير أو مقتصرة على جوانب معينة من التفسير .

ومن أنواع علوم التفسير التي بدأت بصورة جزئية في العصور المتقدمة، التفسير الموضوعي الذي يهتم بالبحث في التفسير في إطار موضوعي واحد وكان في تلك البدايات يهتم بالوحدة الحرفية غالبا، وأما مؤخرا فبرز التفسير الموضوعي مهتما بالوحدة المعنوية أو الحرفية لموضوع البحث، ويكون من خلال القرآن كاملاً أو جزء منه.

ومن أنواع التفسير الموضوعي الذي تأخر ظهوره تفسير سورة واحدة تفسيراً موضوعيا بأن يحدد الباحث سورة يستنبط من خلال تأملها الوحدة الموضوعية فيها ويقوم بدراستها ودراسة تناسب آياتها بهذا المحور وتناسب الآيات مع بعضها، وتجزئتها إلى مقاطع يرتبط جميعها بهذا المحور، فيدرس الباحث السورة دراسة تفسيرية شامله تكشف الترابط الموضوعي فيها وتفسرها تفسيرا تحليلياً رابطاً أجزائها ببعض من خلال هذا المحور.

وقد رغبت في أن أسلط الضوء على مناورة جرت بين أهل الحق والباطل في تلك القرية المنزوية عن العيون ، والقصة التي تمر عليها العيون التالية كل أسبوع في أسطر سورة الكهف مستخرج لكنوزها وأسرارها لتكون للمتأمل مفتاح ، وللباحث مصباح يثري دربه

العلمي، ولتكون ورقات رصينة محكمة أتوقف فيها عند مسائل في القصة لم تنل قسطا وافيا من بحث أو تأمل، بسلوب شائق وطريقة علمية جمعت بين الرواية المشوِّقة والنكات العلمية والمعجزات البلاغية .

فتناولتها بالتفسير ؛ تفسيراً موضوعيا تحليلياً فاستعنت بالله متأملاً آياته ومتدبراً بيناته، تقرأ معي بعون الله بحثا علميا ، تغوص فيه بعمق البلاغة و تنطلق مع سلاسة القصة وتطير مع جمال الوصف وبديع الأمثال .

فكتبت بحثي هذا بعنوان:

" **أصحاب الكهف في ضوء سورة الكهف (دراسة موضوعية تحليلية)** ".

راجيا من الله أن يكون شاهداً لي لا علي، وراغبا المثوبة والأجر وأن يكون لي بين الداعين لله يوم النشور مقعدا ومكانا.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

أهمية الموضوع:

أنزل الله الكتاب للناس ليدبروا آياته ويفهموها كما يريد سبحانه وتعالى وليكون هذا الفهم قائدا لهم للإيمان الحقيقي الذي تجد الدعوة إليه والتمجيد بأصحابه ظاهرا جليا في سورة الكهف، وما جاء به المرسلون أعظم وأجل من الإيمان بالله وتوحيده وتصديق ما جاء به رسله بل هو غاية خلق الخلق: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فلذا تنبع أهمية قصة أصحاب الكهف مما يلي:

١- أنها ضربة أروع الأمثلة والنماذج على الأيمان بالله واليوم الآخر فقد قررت فضل أصحاب الكهف وكيف رفع الله ذكرهم وجعل لهم محبة بين الناس بثباتهم ووزنهم الأمور بموازين الآخرة الحقيقة لا بالموازين المادية الزائلة وبراءتهم من الشرك وأهله .

قال البقاعي: «مقصودها وصف الكتاب بأنه قيم، لكونه زاجرًا عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل في «سبحان» من أنه لا وكيل دونه، ولا إله إلا هو، وقاصًّا بالحق أخبار قوم قد فضلوا في أزمانهم وفق ما وقع الخبر به في «سبحان» من أنه يفضل من يشاء، ويفعل ما يشاء، وأدل ما فيها على هذا المقصد قصة أهل الكهف لأن خبرهم أخفي ما فيها من القصص مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، وكان أمرهم موجبًا- بعد طول رقادهم- للتوحيد وإبطال الشرك»[1]

وهذه القصة قررت ما جاء في الآيات المكية التي اهتمت بتقرير الأيمان بالله وحده كما ذكرنا، وتقرير صدق رسالة النبي ﷺ والأنبياء من قبله كما سيظهر من إخباره عن أمور الغيبيات الماضية من قصص من سلف، وهو ظاهر في سبب النزول لآيات من سورة الكهف حين سأله يهود عن أهل الكهف كما سيأتي تفصيله.

٢- تظهر في هذه القصة قيم الثبات والعلم والتواضع والإخلاص والإيمان الحقيقي والتي تحث الإنسان على الثبات على إيمانه إن كان مستضعفا ، وكيف يتعايش مع واقعه بحسب قدرته وطاقته .

٣- إن في تدبر هذه الآيات ودراستها دراسة موضوعية ظهور واضحا لأساليب

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١/١٢).

العصمة من الفتن والوقاية منها، فقد أرشدنا الله إلى ما فعله الصالحون من قبلنا عند الفتن التي مروا بها واعتصرتهم.

أسباب اختيار الموضوع:

١- بعد التأمل والقراءة المتكررة في هذه السورة العظيمة تبين لي عظم ما تورثه هذه القصة في قلب المؤمن من ثبات بالنظر لمواقف الفتية القابضين على دينهم .
٢- الرغبة في تسليط الضوء على الأبعاد التاريخية للقصة وربطها بالواقعين السياسين المختلفين التي امتدت فيهما .
٣- محاولة تصويب أراء الباحثين في الآثار من خلال التوصل للموقع الجغرافي انطلاقا من الكلمات القرآنية ومن خلال معاني الآيات وتفسير اشتقاتها، والتخلص من التخبط الذي أحدثه المتكسبين من السياحة الدينية بلا علم أو دليل، مما جعل عدد من الدول تزعم أن لديها كهف أصحاب الكهف.

أهداف البحث:

١- تقرير أهم مسائل الاعتقاد التي لاشيء أعظم منها في الإسلام.
٢- جمع الفوائد المتعلقة بالقصة المتناثرة مع ربطها ببعضها البعض للخروج بالمحور الأساسي للموضوع من تقييم الفكر والعقيدة الصحيحة وفق النهج الرباني، وتبيين الجزاء الذي يعده الله للثابتين على مبادئهم الحقه في الدارين.
٣- إبراز الظواهر اللغوية الفذه والطرق البلاغية في الوصيف التشويقي الدقيق الذي يبرز المشهد للقارئ المسترسل أو القارئ المتأمل .
٤- الإفادة من اختلافات التوجيهات النحوية في إبراز أكثر من معنى يناسب السياق .

الدراسات السابقة:

١- **الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف، تأليف: فهد بن عبدالرحمن السويدان، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن** سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، ١٤٠٣-١٤٠٤هـ، وهي

رسالة قيمة وقد ركزت هذه الدراسة على جوانب الصراع والتداول بين الحق والإيمان وأعداءهما، ولم تركز على المحور الأعم في هذه السورة من تقييم المعتقد وتصحيحه، وكذلك ركزت على الفقرات التي فيها صراع بشكل مباشر أو غير مباشر.

٢- الصراع بين الإيمان والمادية، تأملات في سورة الكهف للإمام أبو الحسن علي الحسيني الندوي كبير علماء الهند ،دار الإيمان ببيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م، وهي دراسة موضوعية ليست شاملة لجميع فقرات السورة بل ركزت على القصص القرآنية الواردة، وإن كانت تميزت بأسلوب عميق وأدبي ساحر وتميزت بدراسة مقارنة للقصص عند أهل الكتب الأخرى، إلا أنها ليست سائرة على المنهج العلمي للتفسير الموضوعي الذي يكاد أن يستقر، وكذلك سأزيد بحوث تفسيرية قد لا يكون تطرق لها العالم نظرا لاهتمامه بالعرض الأدبي للسورة.

٣- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم قام بإعداده: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ.د/ مصطفي مسلم، لسورة الكهف، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م، وقد أعد سورة الكهف أ.د/ أحمد بن محمد الشرقاوي، وهي دراسة مفيدة علميا ومنهجيا وقد سارت على المنهج المقترح للتفسير الموضوعي، إلا أني سأزيد في دراستي ما أظنه أكثر ترتيبا وتوزيعا للفقرات والمواضيع داخل السورة و ستتجه دراستي لمحور أعم من المحور والمقصد الذي تبناه صاحب الدراسة وهو (العصمة من الفتن)، وكذلك ستكون هناك فوائد وزيادات علمية قد يكون تجنبها الباحث بسبب المنهج المقترح عليه من الجامعة التي تبنت الدراسة، ومع هذا فلا شك أن دراسة الأستاذ الفاضل مميزة جدا وهو عالم مكثر لا يجارى، وقد استفدت منها، فجزاه الله خيرا .

٤- عامة الدراسات التفسيرية التي تكلمت عن تفسير السورة تفسيرا تحليليا، وهي أمهات التفسير قديما وحديثا .

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول : الفرار بدين الله مع الصحبة الصالحة " أصل الحكاية " .

ويتكون من تمهيد وثلاثة مباحث.

تمهيد : وفيه دراسة تحليلة للآيات أبين فيها: سبب نزول الآيات ، والمناسبات، ومعاني الكلمات ، و الإعراب، و البلاغةالقرآنية بدون إطالة .

المبحث الأول: الشرح الإجمالي .

المبحث الثاني: مكان الكهف وزمن اصحابه .

المبحث الثالث: قصة الفتية، عارض لها بصياغة سلسة واضحة، وفيها تسعة مشاهد .

الفصل الثاني : العبر والدروس التي أرشد الله نبيه وأمته إليها في ضوء نموذج أصحاب الكهف.

ويتكون من تمهيد ومبحثين

تمهيد : وفيه دراسة تحليلة للآيات أبين فيها: سبب نزول الآيات ، والمناسبات، ومعاني الكلمات ، و الإعراب، و البلاغة القرآنية بدون إطالة .

المبحث الأول: وفيه الشرح الإجمالي .

المبحث الثاني: حرية الإختيار ومصير الكفار.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث .

الفصل الأول

الفرار بدين الله مع الصحبة الصالحة " أصل الحكاية " .

من آية (٩-٢٦)

المناسبات:

لما كادت نفسه ﷺ تذهب حسرات وتهلك غما وهما من أحوال قومه الذين لم يؤمنوا بما جاءهم به، جاءت هذه الآيات بقصة أصحاب الكهف لتسلية النبي ﷺ وتثبيه بذكر نموذج من أهل الثبات والإيمان الذين لم يتوقف الأمر عند عدم الإستجابة لهم بل حوربوا وأوذوا وهددوا مما جعله يهجرون الأهل والديار.

* أنها خطت لنا طريق النجاة من الفتن وأوردت نموذجا عمليا ومثالا واقعيا يُحتذى به، حيث تعرّض الفتية لفتنة عظيمة عصمهم الله منها، حين سعى الملك إلى فتنتهم في دينهم واستغل سلطانه في مساومتهم على الحق وإغرائهم بكل المغريات كما استخدم فتنة التهديد والوعيد، فعصمهم الله تعالى من كل تلك الفتن لما خلُصَت نيتهم وصفت سريرتهم وقويت عزيمتهم وصدق توجههم إلى الله تعالى[1].

سبب النزول:

سبب نزول: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ﴾ الكهف: ٢٣ – ٢٤.

أورد ابن جرير سبب لنزول هذه الآية قال: حلف النبي ﷺ على يمين، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله: ولا تقولن لشيء.. الآية.[2]

معاني الكلمات:

أم حسبت: ظننت، وأم: للانتقال من كلام إلى آخر، بمعنى: بل وهمزة الاستفهام، أي بل أحسبت، والخطاب في الظاهر للنبي ﷺ، والمراد به كل مخاطب.

الكهف: الغار أو النقب المتسع في الجبل .

الرقيم: اللوح من الحجارة المكتوب فيه أسماءهم والرقيم المكتوب.

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي(٤/٣٠٢).

(٢) جامع البيان لابن جرير(١٧/٦٤٥)، وأورده السيوطي في لباب النقول ص ١٢٩ وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس .

كانوا من آياتنا عجبا : كانوا في قصتهم من جملة آياتنا محل تعجب، أي كانوا عجبا دون باقي الآيات، أو أعجبها.

إذ أوى : أَوَوْا إليه صاروا إليه وجعلوه مأواهم .

الفتية: جمع فتى، وهو الشاب الكامل، وهم فتية من الأشراف هربوا إلى الكهف، خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار.

من لدنك: من قبلك ومن عندك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو.

وهيئ: يسر، وأصل التهيئة: إحداث هيئة الشيء.

رشدا : هداية إلى الطريق الموصل للمطلوب، والمعنى: هيئ لنا من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار طريقا نصير به راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا كله رشدا.

فضربنا على آذانهم: أنمناهم نوما ثقيلا بحيث لا يسمعون، وأصله: ضربنا على آذانهم حجابا يمنع السماع .

سنين عددا : معدودة.

ثم بعثناهم: أيقظناهم، لنعلم: علم مشاهدة.

أي الحزبين: الفريقين المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم وهما الحزب القائل: لبثنا يوما أو بعض يوم، والحزب القائل: ربكم أعلم بما لبثتم.

أحصى: فعل ماض، أو أفعل بمعنى أضبط لما لبثوا للبثهم.

أمدا: الغاية ومدة لها حد.

نحن نقص: نخبرك .

بالحق: بالصدق.

وربطنا على قلوبهم: صبّرناهم، وألهمناهم الصبر عل الهجرة عن الأهل والمال .

شططا : أي جورا وغلوّا، أي قولا فيه إفراط في الكفر، والشطط: هو الخارج عن المعقول المفرط في الظلم.

وفي اللسان الشطط: مجاوزة القدر في بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك من كل مشتق منه.

قال الشاعر:

ألا يا لقوم قد أشطّت عواذلى ... ويزعمن أن أودى بحقي باطلى[1]

(١) بيت للأحوص ذكره أبوعبيده في مجاز القرآن (١/٣٩٤) .

هؤلاء قومنا اتخذوا : إخبار في معنى الإنكار.

لولا يأتون عليه : هلا هلَّا يأتون عليهم بحجة بَيِنَةٍ، ومعنى عليهم أي على عبادة الآلهة.

ينشر لكم ربكم: يبسط الرزق لكم .

مِرفقا: هو ما ارتفق به، ما ترتفقون به أي تنتفعون، من غداء وعشاء.

تزاور: بتخفيف الزاي والتشديد أي تميل وتعدل وهو من الزور يعنى العوج والميل، تميل الشمس ولا يقع شعاعها عليهم، فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبيا، أو لأن الله تعالى زورها عنه ذات اليمين جهة اليمين.

تقرضهم: تتركهم وتتجاوز عنهم، فلا تصيبهم البتة، يقال: هل مررت بمكان كذا وكذا، فيقول المسئول: قرضته ذات اليمين ليلا .

فجوة: أي متّسع، والجميع فجوات، وفِجاء مكسورة الفاء.

أيقاظا: واحدهم: يقظ، أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة .

رقود: نيام، جمع راقد .

ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال: أي على أيمانهم وعلى شمائلهم.

بالوصيد: على الباب وبفناء الباب جميعا لأن الباب يوصد، لأنهم يقولون: أوصد بابك. أي أغلقه، ومنه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: ٨] أي مطبقة مغلقة.

والكهف وإن لم يكن له باب وعتبة- فإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت.

منهم رعبا: منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم. والرعب: الخوف الذي يملأ الصدر.

بعثناهم: أيقظناهم، وأحييناهم من هذه النّومة التي تشبه الموت.

بورقكم: بفضتكم، الورق: الفضة.

فلينظر أيها أزكى طعاما: فلينظر أي أطعمة المدينة أحل وأطيب، وأكثر وأرخص، وأصل الزكاء: النّماء والزيادة .

وليتلطف: وليتكلف اللطف في المعاملة .

ولا يشعرن بكم أحدا : لا يعلمنّ بكم، يقال: شعرت بالأمر، أي علمت به، أي ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور.

إنهم إن يظهروا عليكم : إن يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم، والضمير لأهل

المدينة.

يرجموكم: يقتلوكم بالرجم

أعثرنا: أطلعنا عليهم قومهم والمؤمنين .

يتنازعون: أي المؤمنين والكفار، والتنازع: التخاصم .

أمرهم: أمر الفتية، في البناء حولهم فقالوا أي الكفار ابنوا عليهم أي حولهم بنيانا يسترهم.

قال الذين غلبوا على أمرهم: هم رؤساء البلد أهل الرأي وهم المؤمنون حين أماتهم الله ثانيا بالموت .

لنتخذن عليهم :حولهم مسجدا معبدا يصلى فيه.

رجما بالغيب: والرجم التخرص وما لم تستيقنه والقول بالظن.

قال زهير:

وما الحرب إلّا ما رأيتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجّم [1]

والمعنى أي ظنا ورميا بالخبر الخفي الذي لا اطلاع لهم عليه، والغيب: ما غاب عن الإنسان.

فلا تمار: تجادل، إلا مراء : المراء المحاجة فيما فيه مرية وشك وتردد .[2]

الإعراب:

من آياتنا : حال، وعجبا: خبر كان، وهو وصف بالمصدر، أو على ذات عجب.

إذ أوى : ظرف لـ (عجبا)، ويجوز أن يكون التقدير: اذكر إذ.

سنين عددا: ظرف لضربنا منصوب، وعددا: منصوب على ضربين: أحدهما على المصدر، المعنى نَعُدُّ عدَداً، ويجوز أن يكون صفة للسنين .

أي الحزبين أحصى : أي: مبتدأ مرفوع، أحصى: فعل ماض واختاره الزمخشري، أو خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ والخبر سدت مسد مفعول لنعلم.

لما لبثوا: حال من أمدا أو مفعول لأجله.

أمدا: ظرف زمان منصوب، وعامله: أحصى، وهو الأوجه، وقيل: لبثوا.

---

(١) من معلقته في ديوانه ١٧، وخزانة الأدب ٣/ ٤٣٥.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٤)، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٢٤، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦٩)، الكشاف للزمخشري(٢/٧٠٧).

لقد قلنا إذا شططا: منصوب على المصدر، المعنى لقد قلنا .

يأتون عليهم: أي هلا يأتون على دعواهم بأنها آلهة، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

وهؤلاء: مبتدأ، وقومنا: عطف بيان، وجملة اتخذوا: خبر.

وإذ اعتزلتموهم: إذ ظرف لفعل مقدر، أي واذكروا إذ اعتزلتموهم.

وما يعبدون: فيها ثلاثة أوجه ؛ إما مصدرية (أي وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله، فحذف المضاف) وإما اسما موصولا (أي وإذ اعتزلتموهم والذي يعبدونه) وإما نافية (أي وإذ اعتزلتموهم غير عابدين إلا الله، فتكون الواو واو الحال) وما: في الوجهين الأوليين: في موضع نصب بالعطف على الهاء والميم في اعتزلتموهم وفي الوجه الثالث: في موضع نصب على الحال.

إلا الله: يجوز أن يكون استثناء متصلا لأنهم كانوا كأهل مكة يقرون بالخالق ويشركون معه، ويجوز أن يكون استثناء منقطعا.

وترى الشمس: مفعول ترى، وإذا طلعت وإذا غربت: ظرفان يتعلقان بـ(ترى)، وعن كهفهم ذات اليمين: يتعلق بـ(ترى).

وتتزاور: جملة فعلية حال من الشمس، يقرأ بتشديد الزاي، وأصله تتزاور، فقلبت الثانية زايا وأدغمت، ويقرأ بالتخفيف على حذف الثانية. ويقرأ بتشديد الراء مثل تحمر، ويقرأ بألف بعد الواو، مثل تحمار. ويقرأ بهمزة مكسورة بين الواو والراء، مثل تطمئن.

وهم في فجوة منه: جملة اسمية في موضع حال.

باسط: خبر المبتدأ، و ذراعيه: منصوب به، وإنما عمل اسم الفاعل هنا وإن كان للماضي لأنه حال محكية.وفرارا :منصوب على المصدر.

فرارا: مصدر، لأن وليت بمعنى فررت.ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال، وأن يكون مفعولا له.

ورعبا: منصوب على التمييز، تقول: امتلأت ماء وامتلأت.

كم لبثتم: كم هنا ظرفية في موضع نصب بلبثتم، أي كم يوما لبثتم، ويوما المحذوف: تمييز، ودليل التقدير: كم يوما: أنه قال في الجواب: قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم.

أيها: مبتدأ مرفوع، وأزكى: خبر المبتدأ، وطعاما: تمييز منصوب، والجملة مفعول فلينظر.

إذ يتنازعون: إذ" مَنْصوباً بقوله (أعثرنا عليهم) فيكون المعنى وكذلك أعثرنا عليهم أي أطلعنا عليهم إذ وقعت المنازعة في أمرهم، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: لِيَعْلَمُوا، أي لِيَعْلَموا في وقت منازعتهم.

بنيانا: مفعول، وهو جمع بنيانة، وقيل: هو مصدر.

سيقولون ثلاثة: خبر مبتدأ أي هم ثلاثة.

ورابعهم كلبهم: جملة اسمية صفة ثلاثة. وكذلك التقدير في قوله: خمسة سادسهم كلبهم وقوله سبعة وثامنهم كلبهم. وإنما جاء بالواو في قوله: سبعة وثامنهم كلبهم ولم يجئ به على الصفة كالعدد قبله لأن السبعة: أصل المبالغة في العدد، كما كانت السبعين كذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة ٨٠]، ولو جاء بالواو في ثلاثة رابعهم كلبهم لكان جائزا .

رجما بالغيب: مفعول لأجله، مصدر ؛ أي يرجمون رجما.

إلا أن يشاء الله: في موضع نصب (بفاعل) بتقدير حذف حرف الجر، أي:

ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله: وموضع «أن يشاء الله» نصب على وجهين ؛ أحدهما: على الاستثناء، والتقدير: لا تقولن ذلك في وقت، إلا وقت أن يشاء الله ؛ أي يأذن ؛ فحذف الوقت، وهو مراد.

والثاني: هو حال، والتقدير: لا تقولن أفعل غدا، إلا قائلا: إن شاء الله، فحذف القول. وهو كثير.

ثلاث مائة سنين : بالتنوين تكون سنين منصوبا على البدل من ثلاث أو عطف بيان على ثلاث أو تكون بدلا مجرورا من مائة لأن المائة في معنى سنين.

ومن لم ينون: أضاف مائة إلى سنين تنبيها على الأصل الذي كان يجب استعماله.

وتسعا: مفعول به، وليس بظرف، أي وازدادوا لبث تسع سنين، فحذف المضاف.

أبصر به وأسمع : الهاء تعود على الله ﷻ، وموضعها رفع ؛ لأن التقدير: أبصر الله، والباء زائدة، وهكذا في فعل التعجب الذي هو على لفظ الأمر.

وقال بعضهم: الفاعل مضمر ؛ والتقدير: أوقع أيها المخاطب إبصارا بأمر الكهف، فهو أمر حقيقة.[1]

(١) انظر: معاني الزجاج(٣/ ٢٧٢)، الكشاف للزمخشري(٢/٧٠٨) وما بعدها، التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٨٣٨)، التفسير المنير للزحيلي (١٥/ ٢٠٨-٢١٠).

البلاغة:

فضربنا على آذانهم: استعارة التبعية: شبه الإنامة الثقيلة بضرب الحجاب على الآذان، كما تضرب الخيمة على السكان، وجوز بعضهم أن تكون من باب الاستعارة التمثيلية.

وربطنا على قلوبهم: استعارة التصريحية التبعية: الربط هو الشد بالحبل. والمراد قوينا قلوبهم بالصبر على هجر الأوطان والفرار بالدين إلى الكهف، وجسرناهم على قول الحق والجهر به أمام الجبارين.

أيْقاظاً وهم رقود: فيه طباق .

وتحسبهمْ أَيْقاظا : التشبيه: في الكلام تشبيه، جاءت فيه الأداة فعلا من أفعال الشك واليقين، وفي الآية حاصلة تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بالأيقاظ، في بعض صفاتهم .

يتنازعون بينهم أمرهم: الاستعارة المكنية : في الكلام استعارة مكنية حيث شبه أمرهم بشيء كثر النزاع حوله، ثم حذف ذلك الشيء، واستعير النزاع القائم حوله.

رجماً بِالغيب: الاستعارة المكنية فقد شبه ذكر أمر، من غير علم يقيني، واطمئنان قلب، بقذف الحجر الذي لا فائدة في قذفه، ولا يصيب مرماه، ثم أستعير له، ووضع الرجم موضع الظن، حتى صار حقيقة عرفية فيه. (١)

المبحث الأول: الشرح الإجمالي

لما بين الله تعالى في الآيات السابقة أنه جعل ما على الأرض زينة لها، ليختبر عباده في هذه الدنيا الفانية، التي ستنتهي إلى تراب لا نبات فيه، ثم يجزي كُلا منهم على حسب عمله وإخلاصه قصّ عليهم قصة أهل الكهف والرقيم وهي نموذج عملي على وضاعة الدنيا وأن المؤمنون لا يغترون بها ويضحون بها متى لزمهم ذلك.

فاستفتح هذه القصة بأسلوب استفاهمي تشويقي، ليوعز إلى الآذان بأن تستمع وإلى الفهوم بأن تنتبه وتركز.

(١) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٥/ ١٤٨) وما بعدها.

ثم خاطب النبي ﷺ بألا تظن يا محمد – والخطاب لكل مكلف – أن قصة أصحاب الكهف والرقيم – وإن كانت من خوارق العادات – لا تظن أنها عجيبة دون غيرها من آياتنا، أو لا تظن أنها أعجب آياتنا وأعظمها! فإن من آياتنا ما هو أعجب منها وأعظم.

قال الرازي رحمه الله : " اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول ﷺ على سبيل الامتحان فقال تعالى : أم حسبت أنهم كانوا عجبا من آياتنا فقط، فلا تحسبنَّ ذلك فإن آياتنا كلها عجب، فإنه من كان قادرا على خلق السموات والأرض وتزيين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم بعد ذلك يجعلها صعيدا جرزا خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم هذا هو الوجه في تقرير النظم والله أعلم" [(١)] .

والكَهْفُ: المغارة الواسعة في الجبل، أما الرقيم فهو العلامة أو الكتابة أو الرسم على الشيء قال سعيد بن جبير، قال: الرقيم: لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف.وهذا الذي أختاره شيخ المفسرين ابن جرير[(٢)]، ويؤيده قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ ٩﴾ [المطففين: ٩] ، أي مكتوب، وقيل: اسم الجبل أو الوادي الذي فيه الكهف، قال ابن عباس: الرقيم: واد بين عُسْفان وأيَلة دون فلسطين، وهو قريب من أيَلة، ونقل عن ابن عباس أنه اسم الجبل[(٣)].

(١) مفاتيح الغيب للرازي(٢١/ ٨١).
(٢) جامع البيان(١٧/٦٠٤).
(٣) أخرج الآثار جميعا ابن جرير في جامع البيان (١٧/ ٦٠٢) عن ابن عباس .

المبحث الثاني: مكان الكهف وزمان أصحابه

ذكر كثير من علماء التفسير والتاريخ أقوالا في تعيين مكان الكهف، فقيل: هو واد قريب من أيلة في العقبة جنوب فلسطين[١]، وقيل: عند نينوى في الموصل شمال العراق[٢] وقيل: في تركيا في جبل أنجلوس بالقرب من مدينة أفسوس[٣] من بلاد الروم سابقا، وكلها أقوال يعوزها الدليل.

وفي عام عام ١٩٦٢م أجرى عالم الآثار الأردني (رفيق وفا الدجاني) دراسات توّجها كما يفصح باكتشاف مغارة الكهف التي اتخذها أصحاب الكهف مرقداً لهم حين دخلوها هاربين بأنفسهم عند منطقة الرجيب بالأردن.

وبعد الجهد الذي قام به وألف كتابا في هذا الاكتشاف سماه "اكتشاف كهف أهل الكهف" .

وأغرب بعضهم في بيان مكان الكهف وزمانه حتى قالوا بأن الكهف المشار إليه كان في بلاد الأندلس ،كما ذكره ابن عطية في المحرر[٤].

وللإمام القرطبي رد على هذا الزعم حيث قال في تفسيره : "ما ذكر من رؤيته لهم بالأندلس فإنما هم غيرهم، لأن الله تعالى يقول في حق أصحاب الكهف: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾ [الكهف: ١٨]. وقال ابن عباس لمعاوية حينما كانا في غزوة ببلاد الروم لما أراد رؤيتهم: قد منع الله من هو خير منك عن ذلك "[٥].

وقد اختلفوا في زمان عيشهم اختلافا طويلا لا فائدة من الخوض فيه ولا مرجح لأدلة أحد على الآخر لاسيما وأن الله قد نهانا تحديدا في هذه القصة عن المجادلة إلا فيما

(١) نقله ابن جرير عن ابن عباس(٦٠٢/١٧).
(٢) تفسير ابن كثير(١١٤/٢).
(٣) أفسوس : بضم الهمزة وسكون الفاء بلد بثغور طرسوس . انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٠٥/١).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٥).
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٥٨) .

علمناه ظاهرا في كتاب الله؛ حيث قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف:٢٢].

والذي يفيده السياق أنهم عاشوا في زمان ملك كافر مشرك ظالم، يحملُ الناس على الكفر، ولما شرح الله صدور أولئك الفتية، وتآلفت قلوبهم وتعارفت أرواحهم واجتمعت كلمتهم على رفض ما عليه قومُهم من ضلال، بل والإنكار عليهم ودعوتهم إلى الحق؛ رُفِعَ أمرُهم إلى الملك الظالم، ولم تُجْدِ معهم الوعودُ والإغراءاتُ، فتوعّدهم وهددهم إن لم يرجعوا إلى دينه ودين أتباعه، فخرجوا تحت جُنْحِ الظلام وساروا حتى وصلوا إلى الكهف.

المبحث الثالث: قصة الفتية

أكثر المفسرين من نقل روايات قصة أصحاب الكهف والخوض فيها مما لم ينقل إلينا بدليل صحيح عن المعصوم، وإنما جله منقول عن بني إسرائيل وأحاديث بني إسرائيل التي تنقل ولا نجزم بها[1]، ولكن نذكر القصة ملخصة ليتصورها القارئ وهو يتدبر كلام الله.

ونورد القصة كما نقلها ابن جرير الطبري في تفسيره قال: " حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو في قوله: ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ الكهف:٩. كانت الفِتية على دين عيسى على الإسلام، وكان ملكهم كافرا، وقد أخرج لهم صنما، فأبَوا، وقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ الكهف: ١٤ ، قال: فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله، فقال أحدهم: إنه كان لأبي كهف يأوي فيه غنمه، فانطلقوا بنا نكن فيه، فدخلوه، وفُقدوا في ذلك الزمان فطُلبوا، فقيل: دخلوا هذا الكهف، فقال قومهم: لا نريد لهم عقوبة ولا عذابا أشدّ من

(١) قال ابن كثير في تفسيره(٩/١): «ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.
والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك».

أن نردم عليهم هذا الكهف، فبنوه عليهم ثم ردموه، ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى، ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ ؟ ف ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ حتى بلغ ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ وكان ورق ذلك الزمان كبارا، فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب، فلما ذهب ليخرج، رأي على باب الكهف شيئا أنكره، فأراد أن يرجع، ثم مضى حتى دخل المدينة، فأنكر ما رأي، ثم أخرج درهما، فنظروا إليه فأنكروه، وأنكروا الدرهم، وقالوا: من أين لك هذا، هذا من ورِق غير هذا الزمان، واجتمعوا عليه يسألونه، فلم يزالوا به حتى انطلفوا به إلى ملكهم، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون، فنظروا في ذلك اللوح، وسأله الملك، فأخبره بأمره، ونظروا في الكتاب متى فقد، فاستبشروا به وبأصحابه، وقيل له: انطلق بنا فأرنا أصحابك، فانطلق وانطلقوا معه، ليريهم، فدخل قبل القوم، فضرب على آذانهم، فقال الذين غلبوا على أمرهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ (١).

وذكر الطبري في موضع آخر رواية ابن عباس لقصة أصحاب الكهف، إذ يقول: "قال ابن عباس: فكانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم، يبكون إلى الله، ويستغيثونه، وكانوا ثمانية نفر: مكسلمينا، وكان أكبرهم، وهو الذي كلم الملك عنهم، ومحسيميلنينا، ويمليخا، ومرطوس، وكشوطوش، وبيرونس، ودينموس، ويطونس قالوس (٢) فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، بكوا إلى الله وتضرعوا إليه، وجعلوا يقولون: اللهم رب السماوات والأرض، لن ندعو من دونك إلها (لقد قلنا إذا شططا) اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك، ومنعوا عبادتك إلا سرا، مستخفين بذلك، حتى يعبدوك علانية، فبينما هم على ذلك، عرفهم عرفاؤهم من الكفار، ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، وذكروا أمرهم، وكانوا قد خلوا في مصلى لهم يعبدون الله فيه، ويتضرعون إليه، ويتوقعون أن يذكروا لدقينوس، فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم مصلاهم، فوجدوهم سجودا على وجوههم يتضرعون، ويبكون، ويرغبون إلى الله أن

(١) جامع البيان للطبري (١٧/ ٦٠٥) .

(٢) قال القرطبي في تفسيره (١٠/٣٦٠): وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية، والسند في معرفتها واه.

ينجيهم من دقينوس وفتنته، فلما رآهم أولئك الكفرة من عرفائهم قالوا لهم: ما خلفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه! ثم خرجوا من عندهم، فرفعوا أمرهم إلى دقينوس، وقالوا: تجمع الناس للذبح لآلهتك، وهؤلاء فتية من أهل بيتك، يسخرون منك، ويستهزئون بك، ويعصون أمرك، ويتركون آلهتك، يعمدون إلى مصلى لهم ولأصحاب عيسى ابن مريم يصلون فيه، ويتضرعون إلى إلههم وإله عيسى وأصحاب عيسى، فلم تتركهم يصنعون هذا وهم بين ظهراني سلطانك وملكك، وهم ثمانية نفر: رئيسهم مكسلمينا، وهم أبناء عظماء المدينة؟ فلما قالوا ذلك لدقينوس، بعث إليهم، فأتي بهم من المصلى الذي كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع معفرة وجوههم في التراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم أسوة لسراة أهل مدينتكم، ولمن حضر منا من الناس؟ اختاروا مني: إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس، وإما أن أقتلكم! فقال مكسلمينا: إن لنا إلها نعبده ملأ السموات والأرض عظمته، لن ندعو من دونه إلها أبدا، ولن نقر بهذا الذي تدعونا إليه أبدا، ولكنا نعبد الله ربنا، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا، إياه نعبد، وإياه نسأل النجاة والخير. فأما الطواغيت وعبادتها، فلن نقر بها أبدا، ولسنا بكائنين عبادا للشياطين، ولا جاعلي أنفسنا وأجسادنا عبادا لها، بعد إذ هدانا الله له رهبتك، أو فرقا من عبودتك، اصنع بنا ما بدا لك، ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقينوس مثل ما قال، قال: فلما قالوا ذلك له، أمر بهم فنزع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم، ثم قال: أما إذ فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتي وبطانتي، وأهل بلادي، وسأفرغ لكم، فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أني أراكم فتيانا حديثة أسنانكم، ولا أحب أن أهلككم حتى أستأني بكم، وأنا جاعل لكم أجلا تذكرون فيه، وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة، فنزعت عنهم، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده، وانطلق دقينوس مكانه إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبا منها لبعض ما يريد من أمره.

فلما رأي الفتية دقينوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم، فأتمروا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه، فيتصدقوا منها، ويتزودوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له: بنجلوس فيمكثوا فيه، ويعبدوا الله حتى إذا رجع دقينوس أتوه فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء، فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كل فتى منهم، فأخذ من بيت

أبيه نفقة، فتصدق منها، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم، واتبعهم كلب لهم، حتى أتوا ذلك الكهف، الذي في ذلك الجبل، فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد، ابتغاء وجه الله تعالى، والحياة التي لا تنقطع، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له يمليخا، فكان على طعامهم، يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا من أهلها، وذلك أنه كان من أجملهم وأجلدهم، فكان يمليخا يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا، ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ ورقه، فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا، ويتسمع ويتجسس لهم الخبر، هل ذكر هو وأصحابه بشيء في ملإ المدينة، ثم يرجع إلى أصحابه بطعامهم وشرابهم، ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس، فلبثوا بذلك ما لبثوا، ثم قدم دقينوس الجبار المدينة التي منها خرج إلى مدينته، وهي مدينة أفموس، فأمر عظماء أهلها، فذبحوا للطواغيت، ففزع في ذلك أهل الإيمان، فتخبئوا في كل مخبأ، وكان يمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقينوس قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا وافتقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت، فلما أخبرهم بذلك، فزعوا فزعا شديدا، ووقعوا سجودا على وجوههم يدعون الله، ويتضرعون إليه، ويتعوذون به من الفتنة، ثم إن يمليخا قال لهم: يا إخوتاه، ارفعوا رؤوسكم، فاطعموا من هذا الطعام الذي جئتكم به، وتوكلوا على ربكم، فرفعوا رؤوسهم، وأعينهم تفيض من الدمع حذرا وتخوفا على أنفسهم، فطعموا منه، وذلك مع غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون، ويذكر بعضهم بعضا على حزن منهم، مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخبر، فبينا هم على ذلك، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عددا، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون، مصدقون بالوعد، ونفقتهم موضوعة عندهم، فلما كان الغد فقدهم دقينوس، فالتمسهم فلم يجدهم، فقال لعظماء أهل المدينة: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا يظنون أن بي غضبا عليهم فيما صنعوا في أول شأنهم، لجهلهم ما جهلوا من أمري، ما كنت لأجهل عليهم في نفسي، ولا أؤاخذ أحدا منهم بشيء إن هم تابوا وعبدوا آلهتي، ولو فعلوا لتركتهم، وما عاقبتهم بشيء سلف منهم، فقال له عظماء أهل المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم، وقد كنت أجلتهم أجلا وأخرتهم عن العقوبة التي أصبت بها غيرهم، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا ولم

ينزعوا ولم يندموا على ما فعلوا، وكانوا منذ انطلقت يبذرون أموالهم بالمدينة، فلما علموا بقدومك فروا فلم يروا بعد، فإن أحببت أن تؤتى بهم، فأرسل إلى آبائهم فامتحنهم، واشدد عليهم يدلوك عليهم، فإنهم مختبئون منك، فلما قالوا ذلك لدقينوس الجبار، غضب غضبا شديدا. ثم أرسل إلى آبائهم، فأتي بهم فسألهم عنهم وقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوا أمري، وتركوا آلهتي، ائتوني بهم، وأنبئوني بمكانهم، فقال له آباؤهم: أما نحن فلم نعص أمرك ولم نخالفك، قد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم، فلم تقتلنا في قوم مردة، قد ذهبوا بأموالنا فبذروها وأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا، فارتقوا في جبل يدعى بنجلوس، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هربا منك، فلما قالوا ذلك خلى سبيلهم، وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية، فألقى الله ﷻ في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم كرامة من الله، أراد أن يكرمهم، ويكرم أجساد الفتية، فلا يجول، ولا يطوف بها شيء، وأراد أن يحييهم، ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. فأمر دقينوس بالكهف أن يسد عليهم، وقال: دعوا هؤلاء الفتية المردة الذين تركوا آلهتي فليموتوا كما هم في الكهف عطشا وجوعا، وليكن كهفهم الذي اختاروا لأنفسهم قبرا لهم، ففعل بهم ذلك عدو الله، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غشاه الله ما غشاهم، يقلبون ذات اليمين وذات الشمال، ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقينوس يكتمان إيمانهما: اسم أحدهما بيدروس، واسم الآخر: روناس، فأتمرا أن يكتبا شأن الفتية أصحاب الكهف، أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم، وقصة خبرهم في لوحين من رصاص، ثم يصنعا له تابوتا من نحاس، ثم يجعلا اللوحين فيه، ثم يكتبا عليه في فم الكهف بين ظهراني البنيان، ويختما على التابوت بخاتمهما، وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم، ففعلا ثم بنيا عليه في البنيان، فبقي دقينوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبقوا، ثم هلك دقينوس والقرن الذي كانوا معه، وقرون بعده كثيرة، وخلفت الخلوف بعد الخلوف[1].

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري (١٧/ ٦٠٨).

الاعتصام بالله والانحياز للغار:

قوله ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ أي اذكر حين التجأ هؤُلاء الفتية المؤمنون بالله إلى الكهف، فرارا بإيمانهم من الشرك وأهله، ومن الملك الظالم الغاشم، فقالوا ضارعين إلى ربهم مستغيثين به: يا ربنا- فجمعوا بين الأخذ بالأسباب والتوجه إلى العزيز الوهاب فقالوا (رَبَّنَا) : وفي التعبير بعنوان الربوبية تأدب مع الله تعالى وتودُّدٌ إليه، وتضرُّعٌ واستعطافٌ[1]

هب لنا من عندك رحمة عظيمة، من خزائن رحمتك الواسعة، فيها الأمن والطمأنينة والمغفرة والسكينة.

﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ أَي ويسِّر لنا من أمرنا هذا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار، يَسِّر لنا هدايةً إليك وتثبيتا على الإيمان بك والإخلاص لك، حتى نكون من عبادك المهتدين الراشدين.

قال ابن كثير:" أي وقدِّر لنا من أمرنا هذا رشدًا، أي اجعل عاقبتنا رشدًا، وما قضيت لنا من قضاءٍ فاجعل عاقبته رشدًا" [2].

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ أَي فاستجبنا دعاءَهم عقب ندائِهم، وأَنمناهم في الكهف آمنين مطمئنين، نومةً ثقيلة طويلة تشبه الموت، بلغت سنين كثيرة تُعَد عَدّا.

وسيأتي التصريح بعدد هذه السنين في قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾.

وتخصيص الضرب على الآذان بالذكر، لأن السمع هو الوسيلة الرئيسة في تنبيه النائم خاصة من ينام بمعزل عن الناس، والنائم لا يسمع في العادة ما حوله من أصوات بمجرد استغراقه في النوم.

ولما كانت نومة أَهل الكهف في عمقها وطولها كأنها الموت، عبر عن إيقاظهم منها بالبعث فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ أَي ثم أَيقظناهم من تلك النومة الشبيهة بالموت؛ لنظهر ما علمناه بشأن لبثهم، بإيضاح

(١) التفسير الموضوعي ،مصطفي مسلم(٤/٣٠٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٣٩).

الأحداث التي مرت بهم، حتى يتبين للناس أيُّ الفريقين أدق إحصاءً لمدة لبثهم: ألبثوا يومًا أو بعض يوم، أَم لبثوا أَحقابًا ودهورًا؟!

فيتبين أيُّ الحزبين أحصى أَمَدَهُمْ : أي مدة لبثهم في الكهف، حيث صارت تلك المدةُ موضعَ خلاف بين العلماء، أو المراد بالحزبين : أهل الكهف حيث زعم بعضهم أنهم لم يلبثوا إلا يوما أو بعض يوم، وبعضهم ظنَّ أن المدةَ طالت فتوقف وفوّض علم المدة إلى الله، كما سيأتي بيانُه في الحوار الذي دار بينهم، عندما انتبهوا من نومهم فتساءلوا بينهم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ (١).

صفات الفتية وعقيدتهم:

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ هذا شروع في تفصيل ما أُجمل آنفا، فالقرآن الكريم كتاب الحق نزل بالحق على قلب رسول الله ﷺ الذي لا ينطق إلا بالحق، وقصصه الحق وكل ما فيه من حكم وأحكام وعبر وعظات ووعد ووعيد هو الحق من عند الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ ، أي نحن نخبرك الخبر اليقين الصادق عن هؤلاء الفتية وهو ما يلي: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾:أَي إنهم جماعة من الشباب النقي الفطرة الصادق العزيمة، وفي التعبير بالفتوة بيان لحداثة سنهم، مع قوة إرادتهم وحماسهم للحق.

والشباب – كما قال الحافظ ابن كثير –: "أقبل للحق، وأَهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شبابا"(٢).

وقيل في إيمانهم: إنهم آمنوا عن طريق حواري المسيح عليه السلام، وهذا وارد في إسرائيليات، والذي لاشك فيه أنهم قد هُدوا بفطرتهم إلى ربهم فاطر السماوات والأرض، فأَيقنوا أن الذي أَبدعهما على غير مثال سبق، هو الحقيق بأن يعبد بحق، وأَن يكون وحده ربًّا لهذا الكون وإلهًا، هكذا اهتَدوا إلى الله بآياته، وهكذا آمنوا بربهم على هدى

(١) انظر: التفسير الوسيط – مجمع البحوث في الأزهر(٥/ ٨٤٠)
(٢) تفسير ابن كثير (٥/١٤٠).

وبصيرة، فزادهم ربهم بالعمل الصالح والعقل الرشيد يقينا إلى يقينهم، وإيمانا مع إيمانهم، ثم أعلن ثناءه عليهم، فقال في محكم كتابه: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ أي : بصَّرناهم بمقتضيات الإيمان وأركانه وبراهينه، فازدادوا إيمانا على إيمانهم وهدى على هداهم.

قال أبو السعود[1] :" ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ بأن ثبتناهم على الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه"[2].

والمتأمل لحديثهم يعلم علم اليقين كيف استقر الإيمان في قلوبهم وكيف التزموا أخلاقه وكيف خالط بشاش قلوبهم.

ثم بين سبحانه لطفه بهم، وجميل صنعه لهم، حينما عزموا على التوجه إليه بعبادته وحده فقال: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ شددنا على قلوبهم وثبتناها، ليواجهوا رياح الفتن وأعاصير المحن، ويجابهوا موجات الكفر العارمة وإعصاراته الجارفه، التي تولى كبرَها وحَمَلَ لواءَها الملكُ المستبدُّ وبطانتُه ودعاة الكفر وسدنته، فألهم الله عز وجل أولئك الفتية بالصبر والثبات في مواجهةِ محاورِ الشر .

وقال الحافظ ابن كثير: "وصبَّرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم لهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة؛ فإنه قد ذكر غيرُ واحد من المفسرين من السلف والخلف: أنهم كانوا من أَبناء سادة الروم"[3].

ثم توافقوا كلهم على عبادة الله وحده، فلما انتهى أَمرهم إلى ملكهم استحضرهم بين يديه، فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوا بالحق ودَعَوه إلى الله عز وجل، وقد أجمل الله ذلك بقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.[4]

ويقال: إنهم لما دَعوا الملك إلى الإيمان باللهِ أبي عليهم وتهددهم وتوعدهم، ثُمَّ أجَّلَ

(١) الإمام محمد بن محمد بن مصطفي العدوي أبي السعود، مفسر شاعر تقلد القضاء والإفتاء في دروسه له من المصنفات تفسيره، تحفة الطلاب، وغيرها من الرسائل العلمية توفي ٩٨٢هـ . انظر: الكواكب السائرة (٣١/٣)، شذرات الذهب (٥٨٤/١٠)، الأعلام للزركلي (٥٩/٧) .

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥ /٢١٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١٤٠/٥).

(٤) التفسير الوسيط – مجمع البحوث (٥/ ٨٤٢)

النظر في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم.

ومن ربط الله على قلوبهم تثبيتهم في جهادهم بالكلمة، فقد ثبت في الحديث " أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ"(١).

❁❁❁❁❁

عقيدة المؤمن وعقيدة المشرك:

﴿ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ يحتمل ثلاثةَ معانٍ :

أحدها: أن يكون هذا وصفُ مقامِهم بين يدي الملك الكافر – كما تقدم، وهو مقامٌ يحتاج إلى الربط على القلب حيث خالفوا دينه، ورفضوا في ذات الله هيبته .

والمعنى الثاني : فيما قيل : إنهم أولاد عظماء تلك المدينة، فخرجوا واجتمعوا وراء تلك المدينة من غير ميعاد ؛ فقال أسنُّهم : إني أجد في نفسي أن ربي رب السماوات والأرض ؛ فقالوا ونحن كذلك نجد في أنفسنا، فقاموا جميعا فقالوا: ﴿ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ أي لئن دعونا إلهًا غيره فقد قلنا إذا جورا ومحالا .

والمعنى الثالث: أن يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله تعالى ومنابذة الناس؛ كما تقول: قام فلانٌ إلى أمر كذا إذا عزم عليه بغاية الجد" (٢) .

ولا تعارض بين هذه المعاني الثلاثة جميعا فيمكن تحميل هذا الوصف وتضمينه معنى العزم والمضاء والنهوض بالحق والقيام به وتحمل تبعاته، واجتماعهم على غير موعد، وصدوعهم بالحق أمام الملك .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن عنه ك الملاحم باب الأمر والنهى برقم(٤٣٤٤)، والترمذي في السنن عن أبي سعيد الخدري أبواب الفتن باب أفضل الجهاد كلمة عدل سلطان جائر برقم (٢٢٦٥) وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، والنسائي في السنن عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ كتاب البيعة – باب فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر ب رقم(٤٢٠٧) وابن ماجة في السنن عنه ك الفتن باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٤٠١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٠ / ٣٦٥)

وقد اجتمعت قلوبهم وكلماتهم فقالوا قولا مجتمعا ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ كما يزعم المشركون، حيث أشركوا بالله غيره في العبادة والطاعة إقرارهم بأن الخالق الرازق هو الله، لذلك جاء التعبير بـ ﴿إِلَٰهًا﴾.

﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ إن نحن قلنا بمقالتهم الباطلة فقد انحرفنا عن المنهج القويم ونكبنا عن الصراط المستقيم، والشطط : كما بينا هو مجاوزة الحد والانحراف عن الجادة والبعد عن الحق .

ثم قال بعض الفتية لبعض، إنكارا على أهل بلدهم، وتمهيدا لاعتزالهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ أي أشرك أهل بلدنا هؤلاء بعبادة غير الله، من الأصنام التي اتخذوها آلهة فعبدوها معه هلا يأتون على عبادتهم لهذه الأصنام ببرهان ظاهر وحجة واضحة!!

وهذا استفهام للاستنكار، لأنهم تيقنوا بأن قومهم لا سلطان لهم ولا برهان، وآنا لهم ذلك.

ثم بينوا أن قومهم أظلم الظالمين فقالوا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي لا أحد أشد ظلما ممن اختلق على ربه كذبا بنسبة الشريك إليه؛ وهو الخالق الرازق المحسن بالليل والنهار.

كيفية العصمة من هذه الفتنة:

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف: ١٦]، بعد أن بينوا عقيدتهم و عقيدة قومهم وبينوا براءتهم من الكفر وأهله بينوا ما سيفعلونه متفقين، فاعتزل الفتية عبادة تلك الآلهة ولم يعتزلوا عبادة الله تعالى، فقال بعضهم لبعض: وإذ فارقتم القوم بقلوبكم وبدينكم، ففارقوهم أيضا بأبدانكم، فالجئوا إلى الكهف لعبادة ربكم مخلصين له الدين، يبسط عليكم رحمة من عنده يستركم بها في الدارين، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم، قالوا ذلك ثقةً بفضل الله تعالى، وقوةً في رجائه، لتوكلهم عليه سبحانه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ثم أتبعوا مقالتهم الحكيمة، تنفيذ عزيمتهم الصادقة، فأووا إلى كهفهم، في حراسة ربهم وكفالته، لم يرهم أحد من قومهم، وقد جدوا في طلبهم!

والذي يظهر أن (ال) التعريف في ﴿ٱلۡكَهۡفِ﴾: تدلُّ على العهد الذهني أي الكهف الذي يتبادر إلى أذهانهم لذا قالوا ﴿إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ ولم يقولوا : إلى كهف .

ذلك، وقد دلت الآية الكريمة على مشروعية الهجرة. ولا شك أنه إذا اشتدت الفتن في دار الكفرة، ولم يستطع من بها من المسلمين أَن يأمنوا على أنفسهم ودينهم – فعليهم أن يهاجروا حيث يأمنون على دينهم وأنفسهم. وقد هاجر أصحاب النبي ﷺ، بأَمره فرارا بدينهم من الفتن! ثم هاجرﷺ هو وصاحبه! واحتملوا في هجرتهم أَهوالًا ثقالا، كان عاقبتَها نصرُ الله والفتح.

❁❁❁❁❁

والله خيرا حافظ:

﴿۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ [الكهف: ١٧] بعد أن فعلوا ما اتفقوا عليه وانطلقوا إلى الكهف واتخذوه مسكنا لهم إلى أن يأتي فرج الله ؛ جاءت كرامات الله لهم وحفظه لهم وعنايته بهم وقد حدث بعد لجوئهم إلى الكهف أَنهم ناموا، ولم يدُر بخلدهم ماذا يكون من أَمرهم بعد نومهم من عجائب الأمور، فضرب الله على آذانهم حِجابًا كثيفًا يمنع سماعهم لما يجري حولهم، بأَن جعل نومهم عميقًا يشبه رقود الموتى ولم يصرح بذلك هنا اكتفاء بإجمال حالهم من قبل .

والخطاب في قوله تعالى: ﴿۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ﴾ إِمَّا لرسول الله ﷺ، وإما لكل أَحد، إيذانًا بغاية ظهوره والمعنى: وترى الشمس إذا طلعت تتزاور وتتنحى عن كهفهم جهة يمين الداخل إليه، وتراها عند غروبها تعدل عنه ولا تدخله جهة الشمال.

مع أَنهم في متسع من الكهف، بحيث يمكن معه أَن يصلهم شعاع الشمس، ولكن الله تعالى حماهم من حرِّها فأبعد شعاعها عنهم حتى لا تؤذيهم بحرارتها طول النهار وكرامةً لهم، في حين أَنه سبحانه جعل الهواء يدخل إليهم، لتبقى حياتهم إلى حين بعثهم من رقادهم.

وقيل: كانت يصيبهم شيء قليل وقدر ضئيل من أشعتها بقدر ما تنتفع به أجسادهم، أورد ذلك أبو حيان وعزاه إلى أبي علي الفارسي فقال: " قال أبو علي : " معنى تقرضهم تعطيهم من ضوئها شيئا ثم تزول سريعا كالقرض يُسْتَرَدّ والمعنى أن الشمس

تميل بالغدوة وتصيبه بالعشي إصابة خفيفة ... قيل ولو كانت الشمس لا تصيب مكانهم أصلا لكان الهواء يفسد ويتعفن ما في الكهف فيهلكوا، والمعنى أن الله تعالى دبّر أمرهم فأسكنهم مسكنا لا يكثر سقوط الشمس فيه فيحمى ولا تغيب عنه غيبوبة دائمة فيعفن "[1].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي ذلك الذي حدث من تحول أَشعة الشمس عنهم، وعدم وصول ضوئها الحارِّ إليهم طَوَالَ النهار - كل يوم مدة رقودهم - مع اتساع مدخل الكهف وصلاحيته لتوصيل أشعة الشمس إليهم - ذلك كله - من آيات الله العظيمة الدالة على كمال قدرته وحكمته في تدبيره، حيث أبطل حكم العادة، ليعم الناس أن الحكم لله لا للأسباب العادية، كما أَنها من آيات الله على كرامة أَهل الكهف ومنزلتهم لديه، وأنه تعالى يحمى أولياءه، ويكرم أصفياءه.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ أي أن من يشاء الله سبحانه إرشاده أوصله إلى الحق، فلا هادي إلا الله أما من يصرفه الله ويبعده عن الهدى فلن تجد له معينا يرشده ويهديه إلى الحق، ويأخذ بيده إلى الطريق المستقيم.

وقَد أَفادت هذه الجملة من الآية الثناء على أهل الكهف والشهادة لهم بإصابة الهدى والرشاد، وأَن ذلك كان بتوفيق الله وهدايته لهم.

قوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] في الكلام إشارة إلى أنهم كانوا مفتوحي الأعين حال نومهم كاليقظان، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ ونقلبهم - وهم رَقُودٌ - جهة أيمانهم وجهة شمائلهم حِفْظًا لأجسادهم من أن تتآكل، على نحو ما جرت به العادة في النائمين.

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي أن كلب أصحاب الكهف مادٌّ ذراعيه بفِناء الكهف أو بمدخله وبابه -وهو أقرب كما بينا- كأنما هو يحرسهم وهم نيام، وفيه إخبار بأنهم كان لهم كلب يلازمهم، وكان ماكثا معهم طول مكثهم في الكهف.

واختلف العلماءُ في أمره -هل نام كما ناموا، ومن هو صاحبه وكيف جاء معهم وهذا الخلاف لا يمكن حسمه إلا بدليل ولا دليل، وهو خلاف لا يغني ولا يعني أحدا

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٠٨).

بفائدة، وقد أضيف الكلب إليهم فقيل كلبهم، وقد نال شرف هذه الصحبة الصالحة فخلد ذكره، فانظر إلى الصحبة الصالحة كيف أعلت شأن كلب !

وقال ابن كثير [1] رحمه الله " وشملت كلبَهم بركتُهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذه صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكرٌ وخبرٌ وشأنٌ "[2].

وقال ابن عطية : "وحدثني أبي رضي الله عنه قال سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين وأربعمائة: إن من أحبَّ أهل الخير نال من بركتهم ؛ كلبٌ أحبَّ أهل فضلٍ وصحبَهم فذكره الله في محكم تنزيله"[3] .

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أي لو عاينتهم وشاهدتهم لأعرضت بوجهك عنهم، ولملئت منهم خوفًا بسبب ما ألقى الله عليهم من الهيبة والجلال وقيل: إن سبب الرعب فيمن يراهم ما كانوا عليه من طول الشعور والأظفار وصفرة الوجوه وتغير الثياب، وهذا القول غير مقبول، فإنهم لو كانوا كذلك لأنكروا أحوالهم بعد أَن تيقظوا، ولم يقولوا لبثنا يوما أَو بعض يوم، وَلَمَّا بعثوا أَحدهم إلى المدينة ليشترى لهم منها طعاما، وأَوصوه بأن يتلطف ولا يشعر أحدا بهم؛ لأن منظرهم يوحى إليهم بأنهم من أهل القرون الماضية، فلا مجال لأن يقولوا لصاحبهم في شأن الطعام ما قالوا، ولأنه لما ذهب إلى المدينة لم ينكر حال نفسه وإنما أَنكر معالم المدينة وأَهلها، فالحق أَن الله تعالى لم يغير حالهم بعد مئات السنين، ليكون ذلك آية بينة لمن يراهم بعد يقظتهم.

(١) هو الإمام إسماعيل بن محمد بن كثير بن ضو القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه شافعي رحل في طلب العلم وله تصانيف كثيرة منها: البداية والنهاية، والتفسير المشهور باسمه وغيرها توفي بدمشق سنة٧٤٠هـ. انظر: شذرات الذهب (٣٩٧/١)، طبقات المفسرين للأدنروي (٢٦٠/١)، الأعلام للزركلي (٣٢٠/١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥ / ١٤٠

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٣ / ٥٠٤

قال ابن عطية:" وقالت فرقة إنما حفهم هذا الرعب لطول شعورهم وأظفارهم، ذكره المهدوي والزجاج، وهذا قول بعيد، ولو كانت حالهم هكذا، لم يقولوا ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩] وإنما الصحيح في أمرهم، أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها، لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يبل لهم ثوب، ولا تغيرت صفة، ولا أنكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم، ولروي ذلك [1].

العودة إلى المدينة:

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ﴾ ابتدأ هؤلاء الشبان حياتهم لما استيقظوا من نومهم بسؤال بعضهم البعض ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ﴾ فأجاب الآخرون ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ﴾ ولو طالت لحاهم أَو أظافرهم أَو بليت ثيابهم أو ضرب بياض الشيب شعرهم لما كان جواب المسئول لبثنا يوما أو بعض يوم، ولما بعثوا بعضهم ليشترى لهم طعاما بدراهمهم التي مضى على ضَرْبها مئات السنين، وقد حدثت هذه الآية على هذا النحو العجيب، ليُعْرفَ أمرهم، ويتبين للناس من حالهم أن الله يبعث من في القبور.

والمعنى: أَنمناهم علي هذا النحو العجيب الدال على قدرتنا، ثم أَيقظناهم من نومهم على هيئة لا تغير فيها لشيءٍ من أحوالهم، لكي يسأل بعضهم بعضا: كم من الوقت لبثنا نائمين بعد أَن أَوينا إلى هذا الكهف مرهقين من رحلة الهرب من أهلينا المشركين.

قوله: ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۖ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ قال بعض آخر لم يتبين له الأمر: ربكم أَعلم بالوقت الذي مكثتم فيه نائمين، فلا سبيل إلى التحقق من أَنه يوم أَو بعض يوم، فدعوا الحديث عنه. فابعثوا أَحدكم بدراهمكم هذه التي أحملها، ليذهب بها إلى المدينة التي خرجنا منها مهاجرين إلى الله، فلينظر أي البائعين بالمدينة أَطيب طعاما، وأزكى وأحل وأكثر، فليأتكم برزق من أطيب الطعام، وليتلطف في معاملته مع بائع الطعام حتى لا تقع خصومة بينه وبينه ويَنكشف

(١) المحرر الوجيز لابن عطية(٣/ ٥٠٤).

بها أمركم، ولا يفعلن ما يؤدى إلى شعور أحد من أهل المدينة بكم، لننجو من العواقب الوخيمة التي تترتب على معرفتهم بمخبئكم عن طريقه.

قال النسفي[1] : " وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة، حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف "[2].

وفي حملهم للنقود معهم دليل أَن التأهب لأسباب المعاش لمن خرج من منزله، يحمل النفقة ونحوها لا ينافي التوكل على الله.

قوله: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢٠] إن قوْمكُم الذين هجرتموهم وتركتم دينهم إن يطلعوا عليكم ويظفروا بكم يرجموكم بالحجارة فيقتلوكم لمخالفتكم إياهم فيما هم عليه من الدين، واعتزالكم إياهم وما يعبدون، ولن تفلحوا أبدا إن دخلتموها ولو مكرهين، فإنهم سيستدرجونكم مع الشيطان إلى استحسانها والاستمرار عليها، وسيحيطونكم بمختلف الفتن والمغريات حتى يطفئوا نور الإيمان في قلوبكم.

وقال الرازي:"فإن قيل أليس أنهم لو أكرهوا على الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ قلنا يحتمل أن يكون المراد أنهم لو ردوا هؤلاء المسلمين إلى الكفر على سبيل الإكراه بقوا مظهرين لهذا الكفر مدة فإنه يميل قلبهم إلى ذلك الكفر ويصيرون كافرين في الحقيقة، فهذا الاحتمال قائم فكان خوفهم منه والله أعلم"[3]

في المدينة:

ثم إن هؤُلاء الفتية بعثوا أحدهم بدراهمهم ليأتيهم برزق طيب من المدينة بعد أن سمع من إخوانه نصيحتهم، ولما ذهب إلى المدينة حدث ما أَشار إليه بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، له: مدارك التنزيل و كنز الدقائق توفي سنة ٧١٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٦٧)

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٣ / ٨).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٢١ / ١٠٢، ١٠٣).

[الكهف: ٢١] تحكى هذه الآية ما آل إليه أَمرهم بعد يقظتهم من رقدة لم يعرف لها التاريخ مثيلا، حيث مكثوا نياما ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ الكهف: ٢٥ ثم كان من قصتهم ما سنذكره إجمالا ثم نفصله، والمعنى: وكما أَنَمْنَاهُم هذه النومة الطويلة العجيبة، وأيقظناهم بعدها بحالة عادية ظنوا معها أَنهم لبثوا نائمين يومًا أَو بعض يوم – كما فعلنا ذلك – أطلعنا الناس عليهم بعد تلك الأجيال العديدة التي ظلوا فيها نائمين، ليعلموا بما عرفوه من أحوالهم العجيبة، أن وعد الله تعالى بأن يبعث الناس بعد الموت للحساب والجزاء حقٌّ، وأَن الساعة التي يقوم فيها الناس لرب العالمين لا ينبغي أَن يرتابوا فيها.

﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ في هذا الكلام تتمة الحديث عن قصتهم بعد الإعثار عليهم، أي أعثرنا الناس على أصحاب الكهف بعد بعثهم وقيامهم من رقودهم، حيث كشفت الدراهم التي كانت مع مبعوثهم أَنها ضُربت منذ مئات السنين في عهد ملك وثني جبار كان أصحاب الكهف قد هربوا منه ومن قومهم الوثنيين في عهده، وظهر للفتى المبعوث أَنهم في عهد ملك آخر، وجيل يختلف كل الاختلاف عن الجيل الذي عاشوا فيه، وكان ذلك كله ليعلم الناس أَن وعد الله بالحياة الآخرة حق، وأن الساعة التي يقوم الناس فيها لرب العالمين آتية لا ريب فيها، فلما عاد الفتى إلى أصحابه في الكهف، وفي صحبته بعض من وقفوا على أمره من زعماء هذا العصر وأهله –لما عاد الفتى إلى أَصحابه– توفاهم الله تعالى، اذكُر لأُمتك أيها الرسول، حين يتنازع قومهم في بعثهم، أيشبه بعث الآخرة أو يخالفه، أو يتنازعون في أَنهم ماتوا أَو ناموا كما حدث أول مرة، ثم فرغوا من التنازع في ذلك، واهتموا بإجلال قدرهم وتعظيم أَمرهم، بعد أَن تبين لهم موتهم، فقال بعضهم لبعض: ابنوا على باب كهفهم بنيانا، لئلا يتطرق الناس إليهم، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن على بابهم مسجدا تكريما لهم، وَحَثًّا للناس على عبادة ربهم.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولان : أحدهما أنهم المسلمون منهم، والثاني أنهم المشركون، و الظاهر أنهم أصحاب النفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا ؟ فيه نظر ؛ لأن النبي ﷺ قال: «لَعْنَ اللّهُ الْيَهُودَ وَالنّصَارىَ. اتّخَذُوا

قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»"[1][2]

وما سبب الشرك بالله إلا تعظيم قبور الأولياء والصالحين وبناء المساجد عليها، ولكنهم إن كانوا مسلمين فقد أخطئوا بهذا البناء أو أنهم لم يبنوا على قبورهم بل بجوار موقعهم فالله أعلم.

عدد الفتية:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ أي: سيقول الخائضون في شأنهم من أهل الكتاب: أَهْلُ الكهف ثلاثةُ أَشخاص من الرجال رابعهم كلبهم، ويقول آخرون منهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، سيقول هؤلاء وأولئك ما قالوه في عددهم، رميا بالظن لما لم يتيقنوا منه من غير سند لما قالوه، ويقول جماعة ثالثة منهم: أهلُ الكهف سبعة وثامنهم كلبهم، يقولون ذلك عن ثقة وطمأنينة، ولذلك لم يتبع الله عبارتهم بما أتبع به عبارة من سبقهم، من أَنهم يرجمون بالغيب، بل أشار إلى علمهم بقوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ كان ابن عباس يقول: " أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم"[3]

﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ولكل من يريد أَن يتحدث في أمرهم من أَهل العلم مع سواه ممن يخوض في شأنهم، فإذا كنت قد عرفت أن من يخوض في عددهم، منهم المخطئ ومنهم المصيب، فلا تجادلهم إلا بعلم ظاهر بين دون تعمق.

ولا تستفت أحدا من الخائضين في شأنهم من أهل الكتاب، فلست بحاجة بعد ما أُوحي إليك إلى المزيد من التعريف بأحوالهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كِتَاب الْمَنَاقِبِ بَاب هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ يرقم (٣٦٦٠)، ومسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها برقم (٥٢٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٧).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان(١٧/ ٦٤٢) عنه.

قال الشيخ السعدي[1] : " ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم ﴾ أي: في شأن أهل الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿أَحَدًا﴾ وذلك لأن مبنى كلامهم فيهم على الرجم بالغيب والظن، الذي لا يغني من الحق شيئا، ففيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه، وإذا نهي عن استفتاء هذا الجنس، فنهيه هو عن الفتوى، من باب أولى وأحرى.

وفي الآية أيضا، دليل على أن الشخص، قد يكون منهيا عن استفتائه في شيء، دون آخر. فيستفتى فيما هو أهل له، بخلاف غيره، لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقا، إنما نهى عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها"[2].

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ – ٢٤] لا يزال الكلام متصلًا بشأن أهل الكهف، فإن هذه الآية نزلت حين سألت قريش النبي ﷺ عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين -كما أشرنا إليه سابقا- فقال ﷺ غَدًا أُخْبركم، فأبطأ عليه الوحي ثم نزل الوحي بعد الموعد.

وقد نبَّه الله فيه نبيه ﷺ بهذه الآية أن لا يقول في أي شأن من الشئون سواءٌ كان في أمر الشريعة أو سواها -أن لا يقول- إني فاعل ذلك غدًا إلا مرتبطًا بقوله إن شاء الله فإن أَمكنه أن يفعله غدًا فعله، وإلا فقد وقع التخلف وفقًا لمشيئة الله الذي لا يقع في ملكه إلا ما شاءه سبحانه، ونحن مكلفون بهذا التوجيه الإلهي لرسوله، فإنه أُسوتنا وقدوتنا.

وقد ثبت عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النّبِيّ ﷺ قَالَ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِيُّ اللّهِ: لأَطُوفَنّ اللّيْلَةَ عَلَىَ سَبْعِينَ امْرَأَةً، كُلّهُنّ تَأْتِي بِغُلاَمٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ، أَوِ الْمَلَكُ : قُلْ: إِنْ شَاءَ اللّهُ، فَلَمْ يَقُلْ، وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ، إِلاّ وَاحِدَةٌ

(١) هو الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي آل حماد التميمي، علامة القصيم، شيخ العلامة ابن عثيمين، له من المؤلفات: تيسير الكريم الرحمن، القواعد الحسان، توفي سنة١٣٧٦هـ . انظر: المبتدأ والخبر (٣٠٦/٢)، وصنف الشيخ عبد الله الطيار كتب في ترجمته هي: علامة القصيم، أثر علامة القصيم، الحركة العلمية، فلتنظر .

(٢) تفسير السعدي ص ٤٧٤ .

جَاءَتْ بِشِقّ غُلاَمٍ»، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللّهُ، لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكاً لَهُ فِي حَاجَتِهِ»[1].

فإن حصل نسيان للمشيئة وقت الوعد بالفعل فليقلها الإنسان مت تذكر، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ أي واذكر مشيئة ربك إذا تذكرت أنك نسيتها، تداركًا لما فاتك من ذكرها، سواءٌ قصر الفصل أم طال.

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف والمعنى لعل الله يؤتيني من البينات والدلائل على صحة أني نبي من عند الله ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف، وقد كان : حيث أعطاه الله عز وجل من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك ، " أو لأقرب رشدا وأدنى خيرا من المنسي "[2].

❁❁❁❁❁

مدة لبثهم في الكهف:

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥ – ٢٦] هذه الآية مبينة لما أجمل من مدة لبثهم في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ وأخر هذا البيان عنها ليدخل بينهما قصتهم، حتى تتسلسل بتدرج فني ومنطقي وتنتهي إلى أنهم تنازعوا واختلفوا في مدة لبثهم، واختلفوا في عددهم، فيأتي هذا البيان بعد الشوق إليه، ليعظم عجيب الناس من قدرة الله، ويشتد إيمانهم بقدرته على البعث.[3]

والمعنى: ولبث أصحاب الكهف مَضْروبًا على آذانهم فيه ثلاثمائة سنة وتسع سنين ازدادوا بها فوقها، ولم يقل ثلاثمائة وتسع سنين مع أنه أخصر من ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ لكي يشير بالثلاثمائة إلى مدة لبثهم بالسنين الشمسية التي عليها أهل الكتاب، وبزيادة التسع عليها إلى ما عليه العرب من الحساب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأيمان والنذور – باب الاستثناء برقم (١٦٥٤) .
(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٢١ /١١١).
(٣) التفسير الوسيط – مجمع البحوث (٥/ ٨٦٢)

القمري الذي يفرق تسع سنين زائدة عليها تقريبا، لأن السنة الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما تقريبا، والقمرية ثلاثمائة وأَربعة وخمسون يوما تقريبا.

قال القرطبي[1] : " وحكى النقاش ما معناه أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية بحساب الأيام، فلما كان الإخبار هنا للنبي العربي ذكرت التسع، إذ المفهوم عنده من السنين القمرية، وهذه الزيادة هي ما بين الحسابين. ونحوه ذكر الغزنوي. أي باختلاف سني الشمس والقمر، لأنه يتفاوت في كل ثلاث وثلاثين وثلث سنة سنة فيكون في ثلاثمائة تسع سنين"[2].

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ أي قل يا محمد للناس: الله أَعلم بما لبثوا، فلذا حكى لكم أنهم لبثوا ثلاثمائة وازدادوا عليها تسع سنين، وفْقًا لما علمه الله من أَمرهم.

﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾ أي للهِ تعالى علم جميع ما غاب في السموات والأرض وخفي من أحوالها وأحوال من فيهما، فضلا عن علمه بما ظهر فيهما، وقوله تعالى: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾أي ما أسمعه وأبصره، وفي هذا بيانٌ لكمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات، بعد ما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات، ثم أخبر عن انفراده بالولاية العامة والخاصة، فهو الولي الذي يتولى تدبير جميع الكون، الولي لعباده المؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور، ولهذا قال: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ الضمير في "لهم" يرجع إلى أهل الكهف أي: هو الذي تولى أصحاب الكهف، بلطفه وكرمه، ولم يكلهم إلى أحد من الخلق.

﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ وهذا يشمل الحكمَ الكونيَّ القدريَّ، والحكمَ الشرعيَّ الدينيَّ، فإنه الحاكم في خلقه، المشرع لهم .

(١) هو الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي القرطبي المالكي، إمام متفنن متبحر في العلم سارت بتصانيفه الركبان، له : الجامع لأحكام القرآن، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ؛ توفي: في مصر سنة ٦٧١هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٢٢٩/١٥)، الوافي بالوفيات (٨٧/٢)، طبقات المفسرين للأدنروي (٢٤٦/١) .

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٧) .

الفصل الثاني
العبر والدروس التي أرشد الله نبيه وأمته إليها في ضوء نموذج أصحاب الكهف من آية (٢٧-٣١)

المناسبات:

المناسبة بين المقطع والذي قبله:

- لما قص الله لنبيه ﷺ خبر فتية الكهف وكيف أن التفافهم على بعض واجتماع كلمتهم واعتزالهم أهل الزيغ والكفر- في الكهف- كان سببا لعصمتهم ونجاتهم من الفتنة، ذكّر الله نبيه بهذا الدرس الذي يستفاد من القصة بأن يبقى مع الصالحين وأن يجعلهم أهل مجلسه مهما كان وضعهم الاجتماعي.
- لما كانت من أهم سمات أهل الكهف صدعهم بالحق أمام كل أحد، نجد أن الله مباشرة وجه نبيه — في هذه الآيات- لهذا الأمر المهم وهو الصدع بالحق أمام كل أحد.
- أن الله بعد حكايته النموذج العملي المذكور في الآيات السابقة، من فريق مؤمن وفريق مشرك بين هنا جزاء المؤمنين وعاقبة المشركين وكل من سار على نهج أحد الفريقين .

المناسبة بين المقطع ومحور السورة:

هذه الآيات تبين بتوجيه مباشر صريح بعض أسباب العصمة من الفتن والنجاة منها، والذي هو محور هذه السورة الكريمة، وكذلك تبين عاقبة من عمل بأسباب النجاة والعصمة من الفتن أو فرط فيها .

سبب النزول:

١- نزول قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] أورد المفسرون عدة روايات لسبب نزول هذه الآية، وجميعها في معنى واحد وإن اختلفت أساليبها وصياغاتها.

فعن سلمان الفارسي، وغيره قال: جاء المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك،

فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ [الكهف: ٢٧ – ٢٨] حتى بلغ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ الكهف: ٢٩ يتهددهم بالنار، فقام النبي ﷺ يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: "الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات"(١).

٢- وجاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه من طرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ يعني الشرك(٢).

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى المعنى الذي دل عليه سببا النزول المذكورين، على اختلاف بينهم وتفاوت في الأحاديث التي ذكروها، ومنهم الطبري والبغوي وابن عطية

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٢٩٧،من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة به وإسناده ضعيف بسبب سليمان بن عطاء الحراني – أو الجزري انظر: تقريب التهذيب (٣٢٨/١)، وأورده ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٨/ ٦) وحكاه عن ابن زيد، وعبدالرحمن بن سهل بن حنيف، ولباب النقول للسيوطي ص١٣٠، وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٢٨١) لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية . وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٥٢ – ٣٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري، وإسناده ضعيف.

وأخرجه ابن ماجه في سننه (٥/ ٢٤٣) برقم (٤١٢٨) من طريق خباب، وقال عنه محقق (ابن ماجه) الأرنؤوط: إسناده ضعيف، أسباط بن نصر كثير الخطأ، ذكره الذهبي في "الميزان" فقال: وثقه ابن معين، وتوقف فيه أحمد، وضعفه أبو نعيم وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال حرب بن إسماعيل، قلت لأحمد: كيف حديثه؟ قال: ما أدري وكأنه ضعفه. وأخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٣٦٧)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" .

(٢) أسباب النزول ص ٢٧٤، ولباب النقول للسيوطي ص١٣٠، وإسناده ضعيف جدا بسبب جويبر تقريب التهذيب (١٣٦/١) والانقطاع بين الضحاك وابن عباس، وعزاه في الدر (٥/ ٢٨٣) لابن مردويه.

وابن كثير[1]، فلا بأس من ذكره مادام الجمهور قد أوردوه وإن كان فيه ضعف وهذه الآية هي التي قال بعض المفسرين أنها مدنية بسبب سبب النزول هذا فالله أعلم.

معاني الكلمات:

لا مبدل لكلماته: لا مغير لأحكامه، فلا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره.

ملتحدا : الملتحد هو الملجأ والمعدِل.

واصبر نفسك: احبسها وثبتها مع الفقراء.

بالغداة والعشي: أي في طرفي النهار، وخصا بالبيان لغفلة الناس واشتغالهم بدنياهم حينئذ.

ولا تعد عيناك عنهم: أي لا تنصرف ولا تتجاوز عيناك عنهم إلى ذوي الزينة، وهذه نزلت في سلمان وأصحابه.

ولا تطع من أغفلنا قلبه: جعلناه غافلا ويقال أنه عيينة بن حصن.

عن ذكرنا: أي القرآن.

واتبع هواه في الشرك.

فرطا : أي تجاوز حد الاعتدال فأسرف وضيع .

وقل: خطاب للنبي ولأصحابه.

أعتدنا: أعددنا وهيأنا، من العتاد وموضعه موضع أعددنا من العدة.

سرادقها: هو الفسطاط، وهو لفظ فارسي معرب، وقيل الحجرة التي تطيف بالفسطاط .

قال رؤبة بن العجاج:

يا حكم بن المنذر بن الجارود ... أنت الجواد بن الجواد المحمود ... سرادق المجد إليك ممدود[2]

وهو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة.

كالمهل: كعكر الزيت، أو كالشيء المذاب من المعادن كالنحاس والرصاص.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٦/١٨)، تفسير البغوي (٣/ ١٨٨)، المحرر الوجيز لابن عطية(٥١٢/٣)، تفسير ابن كثير(١٥٢/٥).

(٢) ملحق ديوان رؤبة ص ٢٦٣، مجاز القرآن لمعمر(٣٩٩/١)

يشوي الوجوه: من حره إذا قدم أو قرب منها للشرب.

وساءت مرتفقا: ساءت النار وقبحت متكأ ومنزلا، وهو لمقابلة قوله تعالى الآتي وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.

من أساور من ذهب: وهي جمع أسورة أو أسوار في جمع سوار، أي فهي جمع الجمع. وتنكير لفظها لتعظيم حسنها عن الإحاطة به.

سندس: رقيق الديباج، وهو فارسي معرب. وإستبرق ما غلظ منه، وهو رومي معرب.

الأرائك: السرر، جمع أريكة وهي السرير الذي عليه الحجلة (الناموسية في عرفنا) وقال الأعشى:

بين الرواق وجانب من سترها ... منها وبين أريكة الأنضاد[1]

نعم الثواب: الجنة ونعيمها.[2]

الإعراب:

الحق من ربكم: الحق خبر مبتدأ محذوف.

ومن ربكم: حال.

يشوي الوجوه: يجوز أن يكون نعتا لماء، وأن يكون حالا من المهل، وأن يكون حالا من الضمير في (الكاف) أو في الجار.

مرتفقا: منصوب على التمييز.

إن الذين آمنوا : خبر (إن) هنا على ثلاثة أوجه: فأحدها أن يكون على إضمار (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا منهم)، ويجوز أن يكون خبر (إن): ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، ويكون قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ قد فصل به بين الاسم وخبره، لأن فيه ذكر ما في الأول، لأن من أحسن عملا بمنزلة الذين آمنوا، ووجه ثالث، أن يكون الخبر ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ في معنى إنا لا نضيع أجرهم، لأن ذكر " من " كذكر الذي، وذكر حسن العمل كذكر الإيمان.

من أساور: يجوز أن تكون (من) زائدة على قول ،ويجوز أن تكون غير زائدة ؛ أي

(١) ديوانه ص ٩٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٠)، مجاز القرآن لمعمر (١/ ٣٩٩)، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٢٧، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٨٢)، التفسير المنير (١٥/٢٣٨).

شيئا من أساور؛ فتكون لبيان الجنس، أو للتبعيض.

من ذهب: (من) فيه لبيان الجنس، أو للتبعيض ؛ وموضعها جر نعتا لأساور ؛ ويجوز أن تتعلق بيحلون.

متكئين: حال إما من الضمير في تحتهم، أو من الضمير في يحلون، أو يلبسون.[1]

البلاغة:

(بالغداة) و(العشي) و(فليؤمن)،(فليكفر): بينهما طباق.

إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها: الاستعارة التصريحية حيث شبه النار المحيط بهم من لهبها، المنتشر منها في الجهات، بالسرادق المضروب على من يحتويهم، ثم استعير له استعارة مصرحة، والإضافة قرينة، والإحاطة ترشيح.

بماء كالمهل يشوي الوجوه: التشبيه المرسل فقد شبه الماء الذي يعاقبون به أنه مثل المهل، والمهل: ما أذيب من جواهر الأرض ويسمى مرسلا مفصلا، لذكر الأداة ووجه الشبهة.

يغاثوا بماء كالمهل: فقد سمى أعلى أنواع العذاب إغاثه، والإغاثة هي الإنقاذ من العذاب، تهكما بهم، وتشفيا منهم.

والتهكم فن طريف من فنون البلاغة، فالوعد معه وعيد، والإجلال للمخاطب المتهكم به تحقير وهذه الآية من أحسن شواهده، إذ جعل الإغاثة ضد الإغاثة نفسها، ففيه إلى جانب التهكم مشاكلةٌ أيضا.[2]

❁❁❁❁❁

المبحث الأول: الشرح الإجمالي

﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾ يأمر الله تعالى رسوله ﷺ في هذه الآية بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس، قائلا له: واتل الكتاب الموحى به إليك، واتبع ما جاء فيه من أمر ونهي، فإنه لا مغير

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٨٣)، الكشاف للزمخشري(٢/٧٢٠)، التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢/ ٨٤٥).

(٢) انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٥/ ١٧٨) .

لكلمات ربك من وعد الطائعين ووعيد للعصاة، ولا محرف ولا مزيل لها، فإن لم تعمل به، فوقعت في الوعيد، فلن تجد ملجأ ولا وليا ناصرا من دون الله تعالى .

هذا هو التوجيه الأول: تلاوة القرآن والعمل بمقتضاه.

والتوجيه الثاني هو مجالسة الفقراء والمستضعفين فقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ أي جالس الذين يذكرون الله ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه ويدعونه في (الغداة) صباحا (والعشي) مساء أي في كل وقت، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ (أي طاعته) ورضاه.

يقال كما بينا: إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده، من غير وجود أصحابه الفقراء أو الضعفاء، كبلال، وعمار، وصهيب، وخباب، وابن مسعود، وليفردوهم في مجلس على حدة، فنهاه الله عن ذلك، وأمره أن يصبر ويثبت نفسه في الجلوس مع هؤلاء، فهم بالإيمان أغنى وباليقين أقوى وبالتقى أكرم من غيرهم(١).

روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ سَعد بن أبي وقاص ﷺ قَالَ: كُنّا مَعَ النّبِيّ ﷺ سِتّةَ نَفَرٍ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنّبِيّ ﷺ : اطْرُدْ هَؤُلاَءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا .
قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلاَلٌ، وَرَجُلاَنِ لَسْتُ أُسَمّيهِمَا. فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢﴾ [الأنعام: ٥٢].

وعَنْه ﷺ قال فِيّ نَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾.

قَالَ: نَزَلَتْ فِي سِتّةٍ: أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ. وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا لَهُ: تُدْنِي هَؤُلاَءِ(٢).

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٥/ ٢٤٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ برقم (٢٤١٣) .

وهذا شبيه بقول قوم نوح عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ [الشعراء:١١١].

وأكد تعالى الأمر السابق بقوله: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ أي ولا تجاوز بصرك ونفسك إلى غيرهم، فتطلب بدلهم أصحاب الثروة والنفوذ، والمقصود النهي عن احتقارهم لسوء حالهم وفقرهم،

ثم أكد تعالى هذا النهي بقوله: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ أي وإياك أن تطيع من وجدناه غافلا، وشغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا، وكان مسرفا مفرطا في أعماله وأفعاله غاية الإسراف والتفريط، متبعا شهواته.

وهو دليل على أن الأمر بالبعد عنهم ؛بسبب بعدهم عن اتباع أمر الله وانشغالهم بمفاتن الدنيا وزينتها.

وقيل أنهم الأقرع وعيينة، قال ابن جرير:" يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك، عن ذكرنا، بالكفر وغلبة الشقاء عليه، واتبع هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه، وهم فيما ذكر: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم"(١).

❁❁❁❁❁

المبحث الثاني: حرية الإختيار ومصير الكفار

والتوجيه الثالث: إعلان مجيء الحق واضحا ظاهرا من الله تعالى، بحيث لم يبق إلا التهديد والوعيد الشديد على كفرهم فقال: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣١] أي قل يا محمد للناس: هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، وهو النظام الأصلح للحياة، فمن شاء آمن به، ومن شاء كفر به، فأنا في غنى عنكم، ومن عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، ثم يحاسبكم ربكم على أعمالكم. وفي هذا تهديد ووعيد شديد.

قال الزجاج: " هذا الكلام ليس بأمر لهم، ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون، ولكن

(١) جامع البيان للطبري (١٨/ ٨) .

كلام وعيد وإنذار قد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر"[1].

ثم ذكر الله تعالى نوع الوعيد على الكفر، والوعد على العمل الصالح فقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ فهم في سجنٍ مطبقٍ، لا مناص ولا خلاص من أسرِه وقبضته ؛ ولا أمل في النجاة منه، بل لا مطمع في منفذ تهب منه نسمة!

والسرادق: واحد السرادقات وهي الحجر التي تمتد أمام الفسطاط، أو الخيام .

وذلك بكفرهم بالبينات، وصدهم عن سواء الصراطِ ، وظلمهم لأنفسهم حين أوردوها موارد الهلاك، وظلمهم للآخرين، فاستحقوا هذا العذاب المهين والمصير الأليم الذي لا مفرَّ منه ولا خلاص .

﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ من حرِّه، وقال تعالى في موضع آخر ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ [الحج: ١٩] يطلب هؤلاء الكافرون الظالمون الإغاثة والمدد والماء وهم في النار، لإطفاء عطشهم، بسبب حر جهنم، يغاثوا بماء غليظ كدردي (عكِر) الزيت، أو كالدم والقيح، يشوي جلود الوجوه من شدة حره، إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه، حتى تسقط جلدة وجهه فيه، ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ أي ذلك الذي يغاثون به فَيُرَاقُ عليهم ﴿وَسَآءَتۡ﴾ أي النار ﴿مُرۡتَفَقًا﴾ : متكئاً و منزلاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٦] . وإنما جاء كذلك تهكُّما بهم ومشاكلة لقوله بعدها: ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾[الكهف: ٣١].

وفي هذا تعريضٌ بمجالس السوء ومنتديات الباطل التي كانوا يعقدونها ويحرصون على ارتيادها والظهور فيها، قد أُبْدِلوا بالشراب الحميمَ المغليَّ وبالصحبةِ والرفاقِ هذا المجتمعَ الجَهَنَّمِي ! ألم يستنكفوا من قبل من صحبة أهل الإيمان ويتعللوا بفقرهم وضعفهم ؟

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٨١) .

فإن استغاثوا من الحريق والظمأ أغيثوا ... أغيثوا بماء كدردي الزيت المغلي ! يشوي الوجوه حين يقترب منها، فكيف بالجوف ؟ ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[1].

وبعد الترهيب من عاقبة الكافرين الخاسرة ونهايتهم الأليمة فنجد السياق يحمل وصف عاقبة المؤمنين الصالحين السعداء فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ أي إن الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة، فلا يضيع الله أجرهم على إحسانهم العمل.

قال الدكتور وهبة الزحيلي:"وأوصاف نعيمهم هي:

١- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي أولئك لهم جنان إقامة دائمة، تجري فيها الأنهار من تحت غرفهم ومنازلهم.

٢- ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ أي يلبسون فيها حلية فيها أساور من ذهب، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»[2] .
وفي آية أخرى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣] .

٣- ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ أي ويلبسون سندسا هو رقيق الحرير، وإستبرقا هو غليظ الديباج أو الحرير، واختير الأخضر لراحة العين عند إبصاره.

٤- ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ أي مضطجعين فيها على السرر، شأنهم شأن الملوك والعظماء لأن الاضطجاع هو هيئتهم، والأرائك: جمع أريكة وهي السرير الذي

(١) انظر: التفسير الموضوعي بإشراف مصطفي مسلم (٣٢١/٤)
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب نقض الصور (٥/ ٢٢٢٠) برقم(٥٦٠٩)، ومسلم في صحيح كتاب الطهارة باب تبليغ الحلية حيث يبلغ الوضوء صحيح مسلم (١/ ١٥٠) برقم (٥٠٧)

عليه مثل الناموسية "[1].

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي نعمت الجنة ثوابا على أعمالهم، وجزاء على أقوالهم وعباداتهم وحسنت منزلا ومقرا ومقاما ومتكئا ومجلسا، كما قال في آية أخرى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦﴾ [الفرقان: ٧٦] .

❁❁❁❁❁

(١) التفسير المنير لوهبة الزحيلي (١٥/٢٤٥) بتصرف .

الخاتمة:

١. يظهر التناسق والتكامل الموضوعي جليا في سورة الكهف وهذا المقطع يبرز ذلك سواءً مع المقطع الذي قبله أو مع محور السورة وهو الثبات على التوحيد والعصمة من الفتن والتي تجسدت هنا في نموذج الفتية بشكل لا يخفي على ذي لب.
٢. أن الله لما بين أن الدنيا دار اختبار حكى لنا بعدها إحدى النماذج التي تذوقت من أشد أنواع الاختبارات، ولكن بتوفيق الله تمكنت من النجاح.
٣. أن عجائب مخلوقات الله لا تنهي وليس بأعظمها قصة الفتية.
٤. أن أشهر وأقوى الأقوال في مكان الكهف أنه في بلاد الشام في الأردن.
٥. أن الله وجهنا بأن لا نخوض في جدال في خصوص أصحاب الكهف إلا بما عندنا من علم من كتاب الله، ولا نخوض في عمق تفاصيلهم التي لا فائدة فيها.
٦. أن الرقيم فعيل مأخوذ من الرقم أو الكتابة أو الرسم، فعلى الأصح أنه اللوح الذي فيه أسماءهم .
٧. أن قصة الفتية حدثت في زمن ملك جبار نشر الكفر وألزم به وحارب الإيمان ونهى عنه.
٨. أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل وقوة الإيمان؛ فأصحاب الكهف لم يمنعهم إيمانهم من الهروب والتخفي من قومهم الكفار فأخذوا بأسباب مادية مع إيمانهم.
٩. في هذه الآيات درس عملي للدعاة والمصلحين أن لا يغفلوا عن سلاح الدعاء مع مراعاة الأدب مع الله، وانتقاء العبارات المناسبة فلكل مقام مقال، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية أدعية مباركة لها دلالتها وخواصُّها .
١٠. وتخصيص الضرب على الآذان بالذكر، لأن السمع هو الوسيلة الرئيسة في تنبيه النائم خاصة من ينام بمعزل عن الناس، والنائم لا يسمع في العادة ما حوله من أصوات بمجرد استغراقه في النوم .
١١. أن الله سمى استيقاظهم بعث لطول رقادهم.
١٢. أن الشباب أقبل للحق وأهدى لسواء السبيل، وأكثر من استجاب للرسول هم الشباب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا

ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي طاعَةِ اللَّهِ ...»[1].

وروى الإمام أحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَعْجَبُ مِنْ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»[2] .

١٣. أن الهداية من الله ولا ينالها إلا من يشاء الله .

١٤. قيامهم بالتوحيد يشمل قيامهم أمام الملك بدعوته، وقيامهم بعيدا عن الناس واتفاقهم على التوحيد، وقيامهم بالفرار بدين الله.

ومن الفوائد الجليلة ما أورده القرطبي في تفسيره : " عن ابن عطية: قال: تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، وتعقبه القرطبي بقوله : " قلت: وهذا تعلق غير صحيح هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته، وشكروه لما أولاهم من نعمه ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم ؛ وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء، أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام وخاصة في هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان ؛ هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء، ثم هذا حرام عند جماعة العلماء، على ما يأتي بيانه في سورة لقمان إن شاء الله تعالى، وقد تقدم في "سبحان" عند قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء:٣٧] ما فيه كفاية، وقال الإمام أبو بكر الطرسوسي وسئل عن مذهب الصوفية فقال: وأما الرقص والتواجد : فأولُ من أحدثه أصحابُ السامري ؛ لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ؛ فهو دين الكفار وعباد العجل، على ما يأتي[3] .

١٥. الشطط هو تجاوز الحد والغلو في أي شيء، وقو الفتية قد تجاوز الحد بكفرهم.

١٦. أن الدعاوى لا بد لها من بينات وإلا فلا قيمة لها، فكل من جاء بدعوى بلا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد برقم (٦٦٠)، و مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة برقم (٩١) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده(١٥١/٤) برقم (١٧٥٠٦)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٤٦٢)، والطبراني في المعجم الكبير للطبراني (١٢ / ٢٧٥) برقم(١٤٢٦٩)، وقال الهيثمى في مجمع الزوائد (٤ /٤٨٧): «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن».

(٣) الجامع لحكام القرآن للقرطبي (١٠ / ٣٦٦).

سلطان فهي مردودة في وجهه. قال الرازي : " فثبت أن الاستدلال بعدم الدليل على عدم المدلول طريقة قوية " [(١)].

١٧. لا أحد أشد ظلما ممن أدعى أن الله له شريك.

١٨. من توكل على الله فهو حسبه، فالفتية اتخذوا الكهف مسكنا وطلبوا التيسير من الله فيسر لهم ذلك.

١٩. الهجرة واعتزال الكفر وأهله لازمة إذا لم يستطع الإنسان القيام بإيمانه، قال الإمام ابن العربي[(٢)] : " فِيهِ جَوَازُ الْفِرَارِ مِنْ الظَّالِمِ : وَهِيَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ فِي الْخَلِيقَةِ"[(٣)].

٢٠. لقد هيئ الله لأصحاب الكهف في كهفهم سبل الحفظ والسلامة طوال فترة نومهم، فكانت الشمس لا تؤذيهم رغم استفادتهم من الهواء والنسيم العليل.

ومن الفوائد الطبية في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ ضرورة تقليب المرضى على الفراش ؛ حتى لا تترسب الأملاح في جهة واحدة، فتتآكل أجسادهم وتتعرض للتلف والتعفن[(٤)] .

٢١. أن كل الخوارق التي أختص الله بها الفتية من الآيات الدالة على قدرة الله جل جلاله.

٢٢. الوصيد هو على الأصح الباب لأنهم يقولون أوصد بابك

٢٣. أن الله ألقى على أصحاب الكهف من الهيبة والجلال ما يحميهم من الاطلاع على حالهم.

٢٤. أن أصحاب الكهف استيقظوا وهم على هيئتهم، ولو كان غير ذلك لما تساءلوا أول ما بعثوا عن كم يوم ناموا، ولما كان جوابهم يوم أو بعض يوم وهم يرون تغير حالهم.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢١ / ٩٨).

(٢) محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي القاضي أبو بكر له: أحكام القرآن، العواصم من القواصم ؛ توفي في مدينة فاس سنة ٥٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٩٨)، الديباج المذهب في معرفة علماء وأعيان المذهب (٢/ ٢٥٢).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢٣٢/٣) .

(٤) انظر: التفسير الموضوعي – مصطفي مسلم (٣٢٩/٤).

٢٥. من الفوائد المهمة ترك الانشغال بما لا فائدة فيه، والانتقال لما هو مهم فلما لم يجزموا بعدد ما لبثوه في كهفهم فوضوا الأمر إلى الله وانتقلوا لموضع طلب المعيشة.
٢٦. حملهم النقود معه في الكهف فيه دلاله على مشروعية التأهب لأسباب المعيشة.
٢٧. الورق هو الفضة.
٢٨. تخوفهم من الرجوع إلى الكفر ولو كانوا مكرهين وهذا دليل على تغلغل الإيمان في قلوبهم.
٢٩. أن الله أعثر الناس على أصحاب الكهف لتتم الدلالة العظيمة ويكونوا آية للناس، ويعلموا أن الذ أحياهم لمحيي الموتى، ليعلم أنهم حصلوا هذه الكرامة لإيمانهم.
٣٠. لما ذكر الله تعداد أصحاب الكهف لم يجعل في العد الأول والعد الثاني حرف(الواو)، ولما صار في العد الثالث قال سبعة وثامنهم، لأن السبعة أصل المبالغة في العد فكأنه وصل إلى نهاية المبالغة فلذا عطف بالواو.
٣١. أن عدد أصحاب الكهف على الأرجح سبعة وثامنهم الكلب، ولم يكن عددهم خفيا على كل أحد بل بين الله أن هناك من يعلمه.
٣٢. علم أهل الكتاب في قصة أصحاب الكهف ضئيل، والأصل أنهم لا يسألون عن هذا الشأن كما بينه الله.
٣٣. أنه ينبغي للإنسان أن لا يقول لشيء أنه فعله غدا إلا أن يربطه بمشيئة الله.
٣٤. من نسيا المشيئة فالمشروع أن يقلها متى ذكرها .
٣٥. لبث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاث مائة سنة ميلادية وازدادوا تسعا بالهجرة.
٣٦. أن الله هو المتفرد بالحكم شرعا وقدرا.
٣٧. الدعوة إلى تلاوة كتاب الله والاعتصام به، فهو الهادي إلى الصراط المستقيم، وفيه الخبر اليقين والفصل إن تنازع المتنازعون.
٣٨. أن ما قاله الله شرعا أو قدرا فلا مبدل له.
٣٩. الاهتمام بمجالسة الصالحين مهما كان وضعهم الاجتماعي وأن العبرة – عند المصاحبة- بالتقوى لا المناصب والزخرف فإذا تعلق القلبُ بزينة الدنيا انصرفت النفس إلى صحبة أصحاب الوجاهة والرياسة طمعا في الدنيا الفانية وتعلقا بزينتها.

٤٠. حرية الاعتقاد في الإسلام ؛ ذلك أن الحقَّ واضحٌ أبلج لا يفتقرُ إلى إكراه، فالحرية مكفولة للجميع على أن هناك حسابا عسيرا وعذابا نكرا لمن اختار طريق الضلال، ومع هذه الحرية فلا يغفل الإنسان أن الحرية في الاختيار ابتداءً وليس في ترك الإسلام والردة عن دين الله.

٤١. أن من أروع الأساليب البلاغية التهكم وقد تهكم الله في الكفار لما ذكر لهم عقوبتهم فقال لهم أن النار ساءت وبئست مرتفقا رغم أن النار ليس فيها إلا الحرق والعذاب، فأينهم من المتكأ والمجلس والمرتفق وهم في الشواء والجحيم.

٤٢. للمؤمنين عند الله تعالى ثوابٌ عظيم مضاعفٌ، في دار الخلد والكرامة التي تزدان بكل ألوان البهجة والسرور، وأطياف الهناء والحبور .

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم :

١) **أسباب نزول القرآن،** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٢) **أحكام القرآن،** لـ/ محمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بـ(ابن العربي) (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة-بيروت/لبنان.

٣) **إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم،** لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤) **أسرار ترتيب القرآن،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٥) **إعراب القرآن،** أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٦) **الأعلام،** لـ/ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٧) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٨) **البرهان فى تناسب سور القرآن،** أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبوجعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب .

٩) **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،** مجد الدين أبو طاهر محمد بن

يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر:جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م /جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م /جـ ٦: ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ م

١٠) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لـ/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م

١١) **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ)، علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٢) **التحرير والتنوير** ، الطبعة التونسية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م .

١٣) **التفسير البسيط** ، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، حققه مجموعة بإشراف: د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود و د.تركي بن سهو العتيبي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمي ، الرياض ، ١٤٣٠هـ .

١٤) **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.

١٥) **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

١٦) **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

١٧) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم** ، إعداد نخبة من علماء التفسير

والقرآن الكريم بإشراف أ.د مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الطبعة الأولى،١٤٣١هـ-٢٠١٠م

١٨) **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) .

١٩) **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة — القاهرة، الطبعة: الأولى، أجزاء ١-٣: يناير ١٩٩٧،جزء ٤: يوليو ١٩٩٧، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨،جزء ١٥: مارس ١٩٩٨.

٢٠) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .

٢١) **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد — سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦

٢٢) **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي**، حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد و د.محمد زغلول، دار المعارف ، مصر — القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

٢٣) **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٤) **الجامع الصحيح المختصر**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير، اليمامة — بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ — ١٩٨٧، مع الكتاب: تعليق د. مصطفى ديب البغا .

٢٥) **الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) ، المحقق:

هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م

٢٦) **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ .

٢٧) **خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب**، المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٢٨) **الدر المنثور**، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر — بيروت.

٢٩) **دلائل النبوة** ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٣٠) **ديوان الأعشى**، ميمون بن قيس، تحقيق: محمد أحمد قاسم، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.

٣١) **ديوان زهير بن أبي سلمى**، زهير بن أبي سلمة ، تحقيق: علي حسن فاغور، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٠٨هـ.

٣٢) **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي — بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .

٣٣) **سنن ابن ماجه** ، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

٣٤) **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ -

٢٠٠٩م .

٣٥) **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) ،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م .

٣٦) **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي ،أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٣٧) **سِيَر أعلام النبلاء**، لـ/شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرسالة، ط.الثانية، سنة ١٤٠٢هـ

٣٨) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لـ/ عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٣٩) **شرح مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤م.

٤٠) **الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف** ، فهد بن عبدالرحمن السويدان ، بحث ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المعهد العالي للدعوة الإسلامية – الدراسات العليا قسم الدعوة والأحتساب، الرياض، ١٤٠٣-١٤٠٤هـ

٤١) **طبقات المفسرين العشرين**، لـ/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.

٤٢) **طبقات المفسرين**، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .

٤٣) **غريب القرآن لابن قتيبة**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)،المحقق: سعيد اللحام.

٤٤) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

٤٥) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

٤٦) **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ)، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٤٧) **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

٤٨) **لباب النقول في أسباب النزول**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٤٩) **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

٥٠) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ل/ أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٥١) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٥٢) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٥٣) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي)**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٥٤) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٥٥) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى : ٢٦١ هـ،المحقق : مجموعة من المحققين، دار الجيل – بيروت، الطبعة : مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ٣٣٤ هـ

٥٦) **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى:٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت،الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٥٧) **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى .

٥٨) **معجم البلدان**، لـ/ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي

الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

٥٩) **المعجم الكبير**، لـ/ الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عد المجيد السلفي، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، مطبعة الأمة، بغداد.

٦٠) **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٦١) **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٦٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٣) **الوافي بالوفيات**، لـ/ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

❁❁❁❁❁

٦٤)